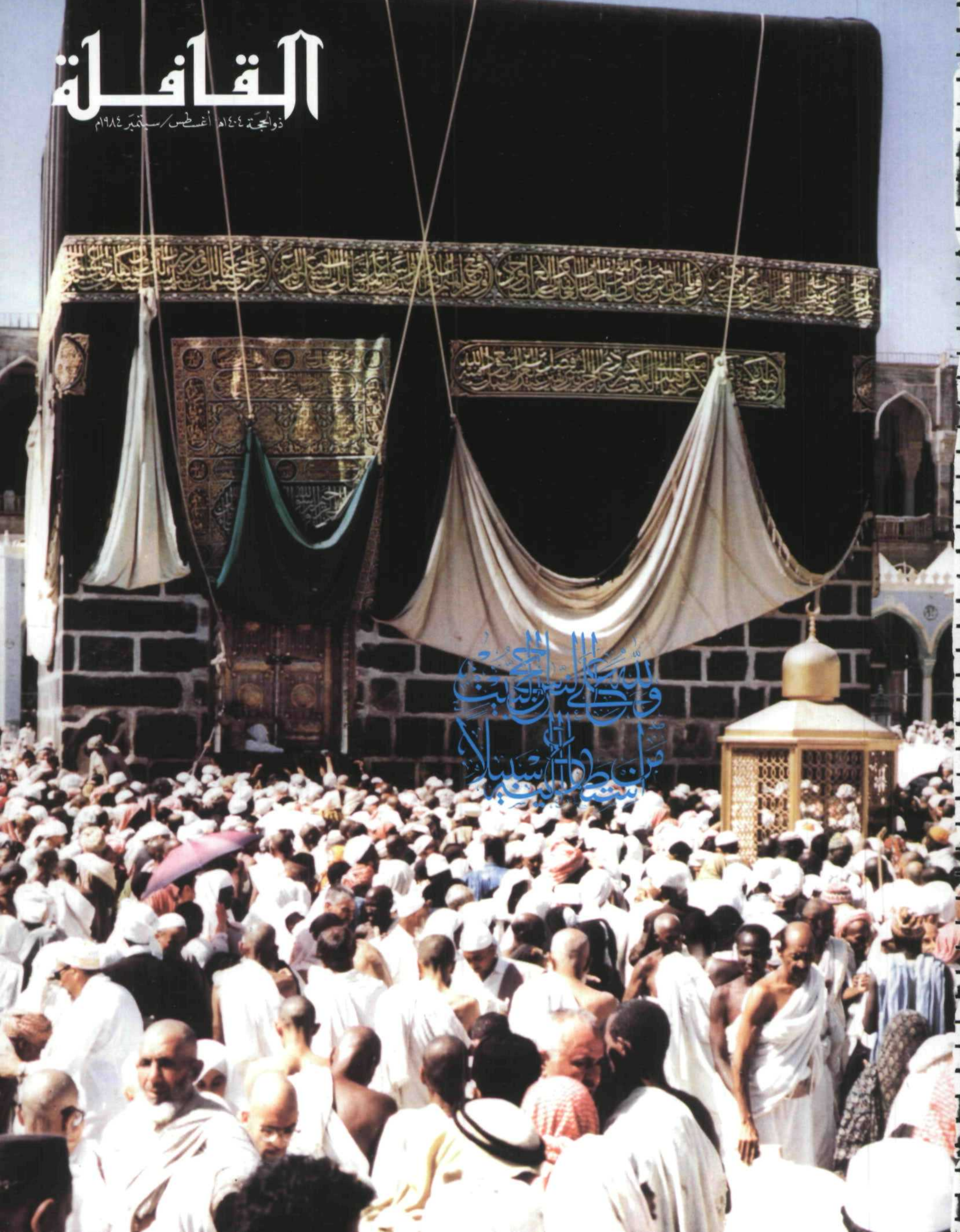

القافلة
ذو الحجة ١٤٠٤هـ أغسطس/سبتمبر ١٩٨٤م
ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا

بسم الله الرحمن الرحيم

القافلة
THE CARAVAN

AUG. / SEP. 1984

العدد الثاني عشر / المجلد الثاني والثلاثون
ذو الحجة ١٤٠٤هـ أغسطس / سبتمبر ١٩٨٤م

تصدر شهرياً عن شركة أرامكو لموظفيها
إدارة العلاقات العامة

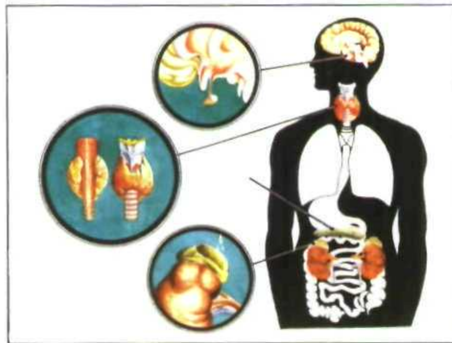
العنوان

صندوق البريد رقم ١٣٨٩
الظهران - المملكة العربية السعودية

توزع مجاناً

المدير العام : فيصل محمد البسام
المدير المسؤول : إسماعيل إبراهيم نواب
رئيس التحرير : عبدالله حسين الغامدي
المحرر المساعد : عوني أبو كشك

الغلاف :
الكعبة المشرفة



مرض السكري : أعراضه وعلاجه



بلاد الطبيعة الخلابة والأرض المعطاء

تصميم وطباعة شركة مطابع المطوع - الدمام
DESIGNED AND PRINTED BY AL-MUTAWA PRESS CO. - DAMMAM

عيد مبارك

إنه لمن دواعي غبطتي أن أغتنم فرصة حلول عيد الأضحى المبارك لأقدم لزملائي المسلمين من موظفي شركة أرامكو وأفراد عائلاتهم أخلص التهاني وأطيب التمنيات، ضارعاً إلى المولى القدير أن يعيده عليهم جميعاً بالخير والبركات - وكل عام وأنتم بخير

جان ج . كلبرر
رئيس مجلس الإدارة

كل عام وأنتم بخير

يطيب لهيئة تحرير «القافلة» أن تنتهز هذه المناسبة السعيدة لترفع إلى جلالة الملك فهد المفدى وولي عهده الأمين وإلى حجاج بيت الله الحرام وإلى المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها وإلى قرائها الكرام أخلص التهاني وأسمى الأماني داعية إلى الباري جلّ وعلا أن يعيد أمثاله عليهم بالخير واليمن والبركات .

هيئة التحرير

السعي.. بين الصفا والمروة

بقلم: د. أحمد جمال العمري/جدة

الحج مجموعة من الأفعال والرموز الروحية. اذا اديت على وجهها الصحيح كانت وسيلة لارضاء الله سبحانه. وطلبا لعفوه ومغفرته. ولانتهت بمؤديها الى الدخول في جنة الله ورضوانه. ونعيمه الأبدي.

والحج من العبادات التي وجبت اظهارا لحق العبودية لله العظيم. وتأكيدا لشكره على نعمه. التي لا تعد ولا تحصى. اما اظهار العبودية.. فتتحقق باظهار التذلل لله الواحد المعبود. لأن الحاج في حال احرامه يظهر الشعث. ويرفض أسباب التزين. ويظهر بصورة عبد غضب عليه مولاه. فيتعرض بسوء حاله لعطف مولاه. ومرحمته اياه. فوقف بين يديه متوسلا متضرعا له. مثنيا عليه. مستغفرا لزلاته. مستقيلا لعثراته.

واما شكر النعمة.. فلأن العبادات بعضها بدنية. وبعضها مالية. وبعضها يجمعهما وهو الحج. فانه عبادة بالبدن والمال معا. ولهذا لا تجب الا حين يصح البدن. ويوجد المال. فكان لذلك فيه نعمتان. وشكر النعمة ليس الا استعمالها في طاعة المنعم.

ولقد أوضح الرسول المصطفى. صلى الله عليه وسلم. لأمته افعال الحج ومناسكه. وقال لصحابته ومرافقيه في حجة الوداع «لتأخذوا عني مناسككم» وتلقى عنه المسلمون هذه الأفعال والمناسك بالامتثال والقبول جيلا بعد جيل. وهذه المناسك هي: الاحرام. والتلبية. والطواف بالبيت العتيق. والسعي بين الصفا والمروة. والوقوف بعرفة. والوقوف بالمشعر الحرام في مزدلفة. ورمي الجمار. وسوق الهدي.. وهذه هي أركان الحج وواجباته. التي لا يصح الحج بدون أي واحد منها.

ويهمنا الآن ان نقف عند واحد من أهم واجبات الحج. وهو السعي بين الصفا والمروة. السعي لغة: هو الذهاب من الصفا الى المروة. ومنها اليها..

الصفا: هو الحجر الأملس الصلب. وهو مشتق من صفا الشيء اذا خلص. ومنه «الصفوان» كما قال تعالى «**فمثله كمثل صفوان**».

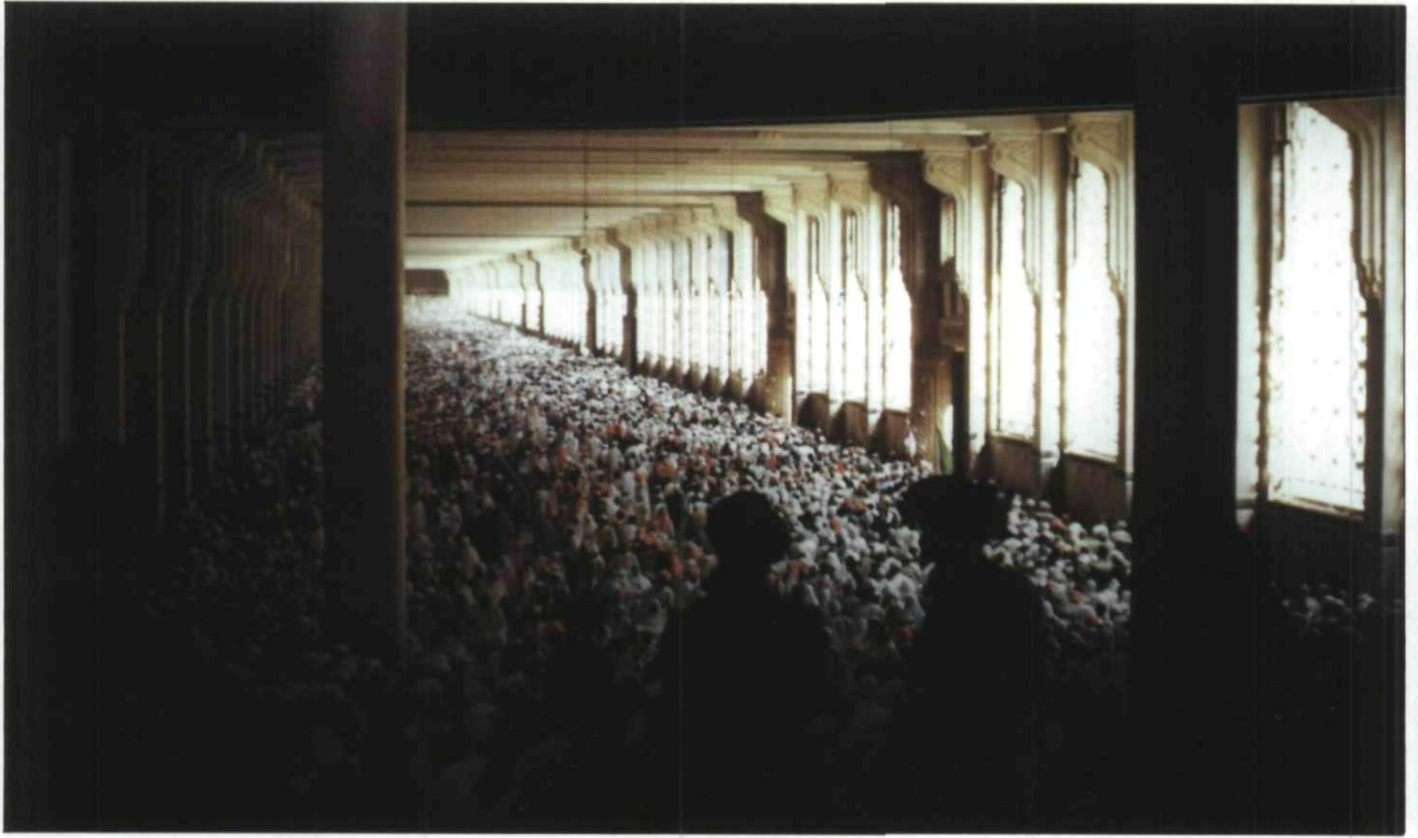
المروة: هي من الحجارة ما كان ابيض أملس صلبا شديد الصلابة. والمراد بالصفا والمروة: الجبلان الصغيران اللذان على مقربة من البيت العتيق. وقد اصبحا ضمن بناء المسجد بعد التوسعة الكبيرة التي شيدت للمسجد الحرام.

وقد ذكر الحق سبحانه «**ان الصفا والمروة**» من علامات الدين. وجعلهما الله لعباده معلما ومشعرا. يعبدونه عندهما بالذكر والدعاء. وجعل سبحانه السعي بينهما شعيرة من شعائر الدين. ومنسكا من مناسك الحج. لا يصح التفريط فيه. لأنه تشريع الحكيم العليم. كلف به ابراهيم الخليل عليه السلام. حين سأل ربه أن يريه مناسك الحج: «**وارنا مناسكنا. وتب علينا. انك انت التواب الرحيم**»[1]

كما كلف به امة محمد — صلى الله عليه وسلم — بقوله تعالى: «**ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوّف بهما. ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم**»[2].

وقال النبي. صلى الله عليه وسلم. تنفيذا لتعاليم ربه: «اسعوا فان الله كتب عليكم السعي»[3].

وروي عن عائشة — رضي الله عنها — ان عروة بن الزبير — سألها. أرأيت قول الله تعالى: «**ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما**» قال: فوالله ما على احد جناح أن لا يتطوف بهما. فقالت عائشة: بئسما قلت يا ابن



اختي، انها لو كانت على ما اولتها عليه كانت «فلا جناح عليه ان لا يطوف بهما» ولكنها انما انزلت في الانصار كانوا قبل ان يسلموا، يهلون لمناة الطاغية التي كانوا يعبدونها عند المشلل، وكان من أهل لها يتحرج ان يطوف بالصفا والمروة، فسألوا عن ذلك رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فقالوا: يا رسول الله، انا كنا نتحرج ان نطوف بالصفا والمروة في الجاهلية. فانزل الله عز وجل: «الآية». قالت عائشة: ثم قد سن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، الطواف بهما، فليس لأحد ان يدع الطواف بهما»[٤].

وقد ارتبط هذا السعي بأمرين:

أولهما: انه احياء لشريعة ابراهيم الخليل، عليه السلام، وتمسك بملته. وكان السعي بين الصفا والمروة من شعائر ابراهيم، كما ذكر القرآن في حديثه عن بناء الكعبة، وكان مبعث النبي المصطفى، صلى الله عليه وسلم، امتدادا لبعثة ابراهيم، واحياء لشرائعها وسننها. وفي ذلك يقول، صلى الله عليه وسلم، «بعثت بالحنيفية البيضاء — او السمحة — ملة ابراهيم الخليل — صلى الله عليه وسلم»[٥].

وثانيهما: انه تخليد لذكرى سعي هاجر، ام اسماعيل، وترددها بين الصفا والمروة، وهي حائرة ملتاعة تبغي انقاذ وليدها من الموت عطشا، كما جاء في صحيح البخاري.. قال ابن عباس: جاء بها ابراهيم وبابنها اسماعيل، وهي ترضعه حتى وضعها عند البيت، عند دوحة فوق زمزم، في أعلى المسجد، وليس بمكة يومئذ احد، وليس بها ماء، فوضعها هنالك، ووضع عندهما جرابا فيه تمر، وسقاء فيه ماء، ثم قفا ابراهيم منطلقا، فتبعته ام اسماعيل، فقالت: يا ابراهيم اين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه انيس.. ولا شيء؟ قالت له ذلك مرارا وجعل لا يلتفت اليها، فقالت، الله امرك بهذا؟ قال: نعم. قالت: اذا لا يضيعنا.. ثم رجعت.

فانطلق ابراهيم حتى اذا كان عند الثنية حيث لا يرونه، استقبل بوجهه البيت، ثم دعا بهذه الدعوات، ورفع يديه، فقال: «**ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم، ربنا ليقيموا الصلاة، فاجعل أفئدة من الناس تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون**».

ثم كانت المعجزة عبرة للمؤمنين ان الله لا يضيع من اطاعه، وابتغى مرضاته، فبينما راحت هاجر تسعى بين الصفا والمروة، ترتقي قمتيهما تلتمس ماء لوليدها العطشِ، هناك في ذلك القفر الاجرد نبعت زمزم بين يدي اسماعيل، وكانت له ولأمه آية يعتبر بها الناس، فقد أصبحت تلك الأسرة الصغيرة هي نواة الحياة، وبذرة العمران في ذلك المكان، وجاءت لصحراء جزيرة العرب بشرف النبوة والرسالة، وحق لمن خضع لأمر الله ذلك الخضوع، ان يكون اهلا لذلك التكريم، وان يقيموا بناء بيت الله، الذي تهوي اليه افئدة أهل الايمان.

وجعلت أم اسماعيل ترضع اسماعيل وتشرب من ذلك الماء حتى اذا نفد ما في السقاء عطشت وعطش ابنها، وجعلت تنظر اليه يتلوى — أو قال يتلبط — فانطلقت كراهية ان تنظر اليه، فوجدت «الصفا» أقرب جبل في الأرض يليها، فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى احدا، فلم تر احدا، فهبطت من الصفا حتى اذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها، ثم سعت سعي الانسان المجهود، حتى جاوزت الوادي، ثم اتت «المروة» فقامت عليها، فنظرت هل ترى احدا، فلم تر احدا ففعلت ذلك سبع مرات..». قال ابن عباس:

قال النبي، صلى الله عليه وسلم: «فلذلك سعى الناس بينهما».

فلما اشرفت على المروة سمعت صوتا، فقالت «صه» تريد نفسها، ثم تسمعت فسمعت ايضا، فقالت: قد اسمعت.. «ان كان عندك غواث»، فاذا هي بالملك عند موضع زمزم، فبحث بعقبه — أو قال بجناحه — حتى ظهر الماء، فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا، وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهو يفور بعدما تغرف. قال ابن عباس: قال النبي — صلى الله عليه وسلم: «يرحم الله ام اسماعيل لو تركت زمزم»، أو قال: لو لم تغرف من الماء لكانت زمزم عينا معينا».

قال: فشربت وارضعت ولدها، فقال لها الملك: لا تخافي الضيعة، فان ههنا بيتا لله يبنيه هذا الغلام وابوه، وان الله لا يضيع أهله».

وفي رواية: «فصعدت هاجر الى «الصفا» فنظرت فلم تر شيئا، حتى اتت «المروة» فلم تر شيئا، ثم رجعت الى «الصفا» فنظرت فلم تر شيئا. ففعلت ذلك سبع مرات، فقالت: يا اسماعيل مت حيث لا اراك؟ فأتته وهو يفحص برجله من العطش، فناداها جبريل فقال لها: من أنت؟ قالت انا هاجر.. ام ولد ابراهيم، قال: فإلى من وكلكما؟ فقالت: وكلنا الى الله.. قال: وكلكما الى كاف، قال: ففحص الأرض باصبعه فنبعت زمزم، فجعلت تحبس الماء، فقال: دعيه فانه رواء»[6].

هل السعي بين الصفا والمروة ركن من اركان الحج.. او هو سنة واجبة؟

حول هذا الموضوع تباينت آراء فقهاء المذاهب، بيد أنهم وقفوا عند أقوال ثلاثة:

◦ **أولها: ما قاله الشافعية والمالكية والحنابلة.. ان السعي ركن من اركان الحج الأساسية، لا يتم الا به، فمن تركه بطل حجه. وقد استدل اصحاب هذا الرأي بقوله، صلى الله عليه وسلم: «اسعوا فان الله كتب عليكم السعي»**[7] كما استدلوا بما فعله الرسول، صلى الله عليه وسلم — في حجة الوداع أو حجة البلاغ — حين دنا من الصفا، وقال «ان الصفا والمروة من شعائر الله» فبدأ بالصفا ، وقال: «ابدأوا بما بدأ الله به» ثم اتم السعي سبعة اشواط، وامر الصحابة ان يقتدوا به، فقال: «لتأخذوا عني مناسككم» والأمر — معناه الوجوب.

◦ **ثانيها**: قال ابو حنيفة والثوري: ان السعي واجب على الحاج والمعتمر، وليس بركن. واذا تركه، وجب عليه دم واستدلوا على ذلك — بقوله تعالى: **«فلا جناح عليه ان يطوف بهما»** حيث رفعت الاثم عمن تطوف بهما، ورفع الجناح يدل على الاباحة، لا على انه ركن من اركان الحج. بيد أن فعل الرسول — صلى الله عليه وسلم، للسعي، جعله واجبا، فصار كالوقوف بالمزدلفة، ورمي الجمار، يجبر بدم اذا ترك.

وامر آخر استدلوا به، ذكره الجصّاص — وهو ما روي عن الشعبي، عن عروة بن مضرس الطائي، قال: أتيت رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بالمزدلفة، فقلت يا رسول الله: جئت من جبل طيئ، ما تركت جبلا الا وقفت عليه، فهل لي من حج؟.. فقال، صلى الله عليه وسلم: من صلى هذه الصلاة معنا، ووقف هذا الموقف حتى يفيض وأفاض قبل ذلك من عرفات ليلا أو نهارا، فقد تم حجه، وقضى تفثه»[1]. وواضح من هذا الحديث، انه اخبر بتمام الحج، وليس فيه السعي بين الصفا والمروة.

◦ **ثالثها**: فهو لابن عباس وأنس، ورواه الامام أحمد: انه سنّة تطوع، لا يجب بتركه شيء. وقد استدل اصحاب هذا الرأي بأمرين: **أولهما**: بقوله تعالى **«ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم»** فبين سبحانه انه تطوع وليس بواجب، فمن تركه لا شيء عليه، عملا بظاهر الآية. **وثانيهما**: بقوله، صلى الله عليه وسلم، «الحج عرفة» فهذا الحديث — من وجهة نظرهم — واضح الدلالة على أن من ادرك عرفة فقد تم حجه، وهذا يقتضي التمام من كافة الوجوه.

أقول: ان الخير كل الخير في اتباع منهج الرسول الكريم، صلى الله عليه وسلم. فهو الاسوة، وهو القدوة، تنفيذا لقول الحق سبحانه: **«وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا»**[9]. فما دام النبي، صلى الله عليه وسلم، سعى بين الصفا والمروة في حجة الوداع، وقال: «خذوا عني مناسككم» فلا بد ان نعترف ان هذا الأمر تشريع منه، صلى الله عليه وسلم، ومن الواجب تنفيذه، والاقتداء به حتى ننال شكر الله ونعم الله.

والسؤال الآن: اذا كان السعي بين الصفا والمروة اما فرض.. أو واجب.. او سنة.. فلماذا نفى الله سبحانه وتعالى الاثم عمن سعى بينهما؟ قال ابن العباس: انه كان، في الجاهلية، على الصفا صنم يقال له «اساف» وعلى المروة صنم آخر يقال له «نائلة» وكان المشركون اذا طافوا تمسحوا بهما، فخشي المسلمون ان يتشبهوا بأهل الجاهلية، وتحرجوا من الطواف «السعي» لهذا السبب، فنزلت الآية تدفع الحرج عنهم، لأنهم انما يسعون لله لا للاصنام. هذه واحدة.

وواحدة أخرى — ذكرها ابن اسحاق — في السيرة النبوية، قال: ان «اساف» و«نائلة» كانا بشرين، فزنيا داخل الكعبة، فمسخا حجرين، فنصبتهما قريش تجاه الكعبة ليعتبر بهما الناس، فلما طال عهدهما عُبِدا، ثم حُوّلا الى الصفا والمروة، فنصبا هنالك، فكان من طاف بالصفا والمروة يستلمها ولهذا يقول ابو طالب في قصيدته المشهورة.

وحيث ينيخ الأشعرون ركابهم
لمفضى السيول من اساف ونائل

ومن هنا كان المسلمون يتحرجون من الطواف، ويقولون ان طوافنا بين هذين الحجرين من امر الجاهلية، فنزلت الآية الكريمة تمنع الحرج.

شــروط صحــة السعي

ذكر الفقهاء لصحة السعي بين الصفا والمروة شروطا:

◦ ان يسبقه الاحرام بالحج أو العمرة — من الميقات، لانه من واجباتها، فلو سعى ثم احرم لم يصح سعيه.

◦ أن يؤخر بعد الطواف، وهو شرط متفق عليه بين الأئمة، لأن النبي، صلى الله عليه وسلم، فعل ذلك، ولأن السعي تابع للطواف، فلا يجوز ان يسبقه.

ولما كان السعي، تابعا للطواف، نصّوا على أن وقت ادائه الاصلي في الحج هو يوم

النحر بعد طواف الافاضة، لأنه واجب، فلا يكون تابعا لطواف سنة —وهو طواف القدوم— لكن الفقهاء اجازوا تقديمه في الحج، وأداؤه بعد طواف القدوم تيسيرا على الحجاج لكثرة مشاغلهم يوم النحر. فاذا لم يسع الحاج عقب طواف القدوم او الزيارة —مباشرة، فانه بامكانه ان يسعى بعد طواف الافاضة. هكذا قال الحنفية.

وقال الشافعية: يكفي السعي بعد طواف القدوم، وان تباعد عنه ما لم يتخلل بينهما الوقوف بعرفة.

واكتفى الحنفية بالطهارة في الطواف حول الكعبة عن الطهارة في السعي، فاجازوا سعي الحائض والجنب اذا كانا طاهرين، فان لم يكن طاهرا وقت الطواف لم يجز سعيه، ولو كان طاهرا عند السعي. واستدلوا بأن السعي نسك لا يتعلق بالبيت، فلا تشترط له الطهارة من الجنابة والحيض كالوقوف بعرفة —لا يشترط له ذلك أيضا[10].

أركان السعي

وللسعي أركان عند فقهاء المذاهب لا يتحقق السعي بدونها منها:

• ان يكون سبعة اشواط كاملة، لاجماع الأمة على فعله كذلك، ولفعل النبي، صلى الله عليه وسلم، فلو نقص منها خطوة لم يتحلل من احرامه حتى يستكملها.

وتخفف الحنفية، فقالوا: يكفي لاسقاط الواجب اربعة اشواط، لأنها أكثر السعي، وللأكثر حكم الكل، فلو سعى أقل من أربعة اشواط فعليه دم، لأنه لم يؤد الواجب. واتفقوا على انه يعد من الصفا الى المروة شوطا، ومن المروة الى الصفا شوطا آخر باتفاق المذاهب الاربعة، لأن النبي، صلى الله عليه وسلم، طاف بينهما سبعا: «ابتدأ بالصفا وكان آخر طوافه على المروة». كما روى جابر، فدل على انه احتسب كل مسيرة بينهما شوطا والا كان آخر طوافه عند الصفا.

ومنها: ان يبدأ السعي من الصفا، فلو بدأ الحاج بالمروة لم يعد شوطا، واحتسبت الاشواط ابتداء من الصفا، على الرواية المشهورة في مذهب الحنفية، وهو مذهب الشافعية ايضا، استدلالا بما فعله رسول الله، صلى الله عليه وسلم، حين بدأ السعي قائلا: «ابدأ بما بدأ الله به، فبدأ بالصفا».

سنن السعي

• الموالاة بين الطواف والسعي، فلو فصل بينهما بوقت طويل فقد ترك السنة، وليس عليه جزاء.

• استلام الحجر الأسعد قبل الذهاب الى السعي بيده، فان لم يستطع اشار اليه بيده.

• الصعود على الصفا والمروة كلما بلغهما في سعيه، بحيث يشاهد البيت العتيق، اما ما يفعله بعض الناس من الصعود والتمسح بالجدار، فمخالف لطريقة السنة والجماعة.

• استقبال الكعبة، والتهليل والتكبير والصلاة على النبي كلما صعد على الصفا والمروة.

• الهرولة بين الميلين الاخضرين، وهما عمودان احدهما تحت منارة باب علي، والآخر قبالة رباط العباس، ويستحب في الهرولة ان تكون فوق الرمل، ودون العدو، والسنة ان يمشي فيما سوى ذلك. —عن ابن عمر— رضي الله عنهما —قال: «كان النبي، صلى الله عليه وسلم، اذا طاف بالبيت الطواف الأول خب ثلاثا، ومشى أربعا، وكان يسعى بطن المسيل، اذا طاف بين الصفا والمروة»[11]. وهذا الأمر خاص بالرجال دون النساء، لان حالهن مبني على الستر، فالسنة في حقهن المشي فقط[12].

بقي ان نتحدث عن الدعاء.. والدعاء مخ العبادة.. واذا كان الدعاء مستحبا في كل وقت، فان اجمل اوقاته وقت تأدية مناسك الحج، ففي كل منسك من المناسك يستحب الدعاء، خاصة في الطواف حول الكعبة، والسعي.. فكلاهما يحتاج الى صبر وتحمل.

ومن المأثور في الدعاء على الصفا والمروة: الله اكبر، الله اكبر، الله اكبر ولله الحمد، الله اكبر على ما هدانا، والحمدلله على ما اولانا، لا اله الا الله وحده، لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير. لا اله الا الله وحده، انجز وعده، ونصر عبده، وهزم الاحزاب وحده، لا اله الا الله، ولا نعبد الا اياه، مخلصين له الدين ولو كره الكافرون.

ومن السنة ان يطيل القيام على الصفا وعلى المروة، ونصلي على النبي، صلى الله عليه وسلم، وندعو ونقول عند هبوطنا من الصفا في كل شوط: «اللهم استعملني بسنة نبيك، وتوفني على ملته، وأعذني من مضلات الفتن برحمتك يا ارحم الراحمين»[13].

ونقول بين الميلين الاخضرين: «رب اغفر وارحم، وتجاوز عما تعلم، انك انت الاعز الاكرم»[14] «ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار».

ومن الأدعية المأثورة عن الرسول، صلى الله عليه وسلم: «اللهم اعصمني بدينك وطواعيتك، وطاعة رسولك، وجنبني حدودك، اللهم اجعلني احبك، وأحب ملائكتك وانبياءك ورسلك واحب عبادك الصالحين، اللهم يسر لي اليسرى، وجنبني العسرى، واغفر لي في الآخرة والأولى، واجعلني من أئمة المتقين»[15].

«اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، اللهم اني أسألك موجبات رحمتك، وعزائم مغفرتك، والغنيمة من كل بر، والسلامة من كل اثم، والفوز بالجنة، والنجاة من النار».

«اللهم اني أسألك الهدى والتقى، والعفاف والغنى، اللهم اعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك» □

المراجع:

١— سورة البقرة/١٢٨
٢— سورة البقرة/١٥٨
٣— رواه احمد
٤— اخرجاه في الصحيحين
٥— رواه البخاري
٦— رواه البخاري
٧— رواه احمد وابن ماجه
٨— احكام القرآن ١١١/١
٩— سورة الحشر/٧
١٠— نور الدين عتر: الحج والعمرة في الفقه الاسلامي ص ٩٤ طبع دمشق.
١١— متفق عليه
١٢— انظر الفقه على المذاهب الأربعة ٦٥٩/١
١٣— فتح القدير ١٥٥/٢ واخرجه البيهقي ٩٥/٥
١٤— اخرجه البيهقي من قول ابن مسعود
١٥— اخرجه البيهقي عن ابن عمر من قوله على الصفا.

في ظلال الكعبة المشرفة

سعيدٌ أنا في ظلال الحرمْ   فلا تسألوني بماذا ولمْ
أحسُّ بجسمي فوق الأثير   وقد شفَّ بل خفَّ حتى انعدمْ
فلا عجبٌ أن يموتَ البيانُ   ويعيا بوصفِ رُؤاي القلمْ
أكادُ أرى هاجرا والصغير   يروِّعه الظمأ المحتدمْ
فتجري هناك وتعدو هنا   وفي سمعها صرخاتُ الألمْ
تفتّشُ عن جرعةٍ تنقذُ   الوليدَ وتطفيء بعضَ الضرمْ
وقد أوشك اليأسُ يجتاحها   فتُسلمُ ذا ثديها للعدمْ
ولكنَّ ربّكَ لمْ ينسها   وأدركها بجزيل النعمْ
فذلك جبريل يحبو الثرى   بريَّ النفوس وبرءِ السقمْ
يمسُّ بقادمتيه التراب   فيدفقُ بالعذب حتى يطمْ
وها هي ذي زمزمٌ لا تزالُ   الى اليوم والغدِ وِرْدَ الأممْ

... والمحُ ثمَّ أبا الأنبياءِ   وبين يديه فتاه العلمْ
يُقيم قواعد هذا البناء   وقد خطَّط الرسمَ باري النَسمْ
ويُؤمر اذ ينتهي ان يُذيعَ   على الكون بشرى الذي قد أتمْ
فيهتفُ في الناس: هذا المقامُ   الذي شاء ربُّكمْ أنْ يُؤمْ
فتنداحُ صيحته في السهول   وخلفَ البحارِ وفوق الأكمْ
ويأتيه سعياً وفوق المتون   أولو الحظ من كل فج ويمْ

.. وأبصر «أبرهةً» في الجيوش   ومن تحته الفيلُ طوداً أشمْ
يطاول بالكبرياء النجومَ   ويحسبُ في قبضتيه السُدمْ
يسير الى مكة منذرا   بنيَّها بالبلاء الأعمْ
وييأسُ «شيبةُ» منْ حوله   ومَنْ حوله فينادي: هلُمْ
دعوا البيتَ وانجوا بأهليكم   فبيتُ المهيمن لا يُقتحمْ
سيحميه منهم غداً مثلما   حماهُ على الدهر منذُ القدمْ
.. وفرَّ عن البيت حرّاسه   سوى واحدٍ عينهُ لمْ تنمْ
وحاول ذو الفيل تسييره   الى مكة فأبى وانهزمْ
على أنه كلما ردّه   الى غيرها خفّ. لا بلْ هجمْ
وجاء القضاءُ بأجناده   من الطير كالقسطل المدلهمْ
فراحت تصبُّ مناقيرها   على الظالمين رجومَ النقمْ
وما هي الا الهنيهاتُ حتى   استحال الغزاةُ كعصفٍ هُضِمْ

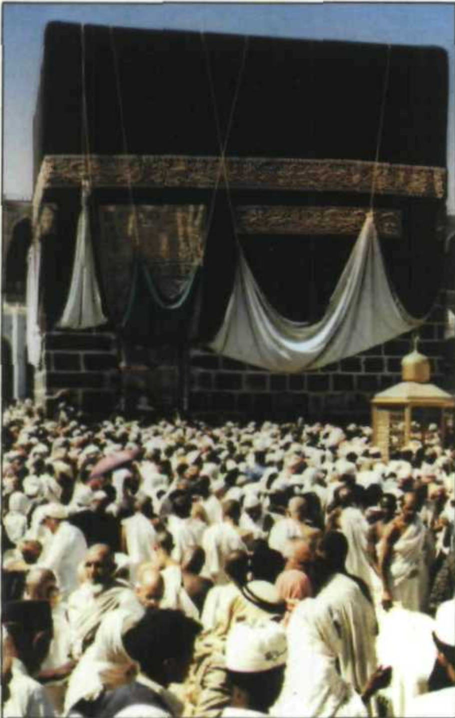
وتمضي المشاهدُ حتى أرى   إمامَ النبيين يمحو الظُلَمْ
ينادي: الى الله يا ضائعون   ومن يتّبع هَدْيَهُ لم يُضمْ
وعن كثَبٍ ندوةُ المشركين   تحوكُ لحرب الحبيب التُهَمْ
وترمي بلالاً واخوانه   من القارعاتِ بسيلِ عرِمْ
يريدون منهم ولو لفظةً   تسجلُ نصراً لحزب الصنمْ
فلا يسمعون من المؤمنين   سوى ما يضاعفُ تلك الحممْ
كأني بآذانهم كلما   دعاها الطغاة عراها الصَممْ
وألْسنهم كلما رُوودت   على الكفر أفضى اليها البكَمْ
وتهتفُ: بل «أحدٌ احدٌ»   فتُصغي البطاحُ وتهفو القممْ

شعر: محمد المجذوب / المدينة المنورة

وينطلقُ الروحُ في مدّه ... الى عالم قبلَه لم يُرَمْ
فأشهد عودةَ خيرِ الأنامِ ... الى مكة في ليوث الأجَمْ
وقد ذلَّلَ اللهُ أعداءه ... فليس لهم دونه معتَصَم
يقول لهم: ما تظنونَ بي؟ ... فيضرعُ كلُّهُم في نَدَمْ:
ألستَ الجوادَ الذي لا يزالُ ... يقابلُ زلاّتنا بالكرَمْ!
أخ فوق ما قد عهدنا الاخاء ... وفاء وبرّا بحق الرحم
فيرسلها بُشْرَياتٍ سرتْ ... بسمعِ الزمانِ كأشهى النغَمْ:
ألا فاذهبوا.. أنتم الطلقاءُ ... ولا تجزعوا... لست بالمنتقمْ
.. ويومي لرمزِ الضلال الذي ... على البيت منذ «لُحَيٍّ» جثَمْ
فتهوي الطواغيتُ من فوقه ... منكّسةً بعد ذاك العِظَمْ
كذلك يعلو بناءُ الأباطيل ... حتى اذا الحقُّ جاء انهدَمْ
ويزجي بلالٌ نشيدَ السماء ... بأعلاه عَذْباً يهزّ الأصَمْ
ولكنّ «عتّابَ» والحائرين ... يرون بذاك انتهاكَ الحرمْ
أعبدُ أميةَ نسلُ السواد ... علا البيتَ!... يا لَلْبلاء العَممْ!
ولا ريب أن امرءا آثر ... الحِمامَ على هذه لم يُلَمْ
ويهمسُ وابنيْ هشامٍ وحربٍ ... حديثاً يفيضُ بمثل اللَمَمْ
وقد حسبوا أنه قد ثوى ... بأعماقهم حيثُ لا مُقتَحَمْ
ولكنهم فوجئوا بالأمينِ ... يُميطُ اللثامَ عن المكْتَتَمْ
يُنبّئُهُمْ بالذي غيّبت ... صدورُهم من رهيبِ الكلِمْ
فلا يستطيعون ردّاً وقد ... دَرَوا أنه الحقُّ من ربهمْ

ووافى «فضالةُ» مستخفياً ... ويخفي وراءَ الرداءِ الخَذمْ
يمنّي «مناة» بأن لا يعودَ ... اذا لم يخضّبه من خير دَمْ
وأطمعه أن رأى المصطفى ... نجيَّ الاله لدى الملتزَمْ
فأحكمَ قبضته في الحسامِ ... وراح يراقبه من أمَمْ
وهمَّ.. ولكنْ سرتْ رِعْدَةٌ ... به تتلاشى لديها الهِمَمْ
ولما أتمَّ الرسولُ الصلاةَ ... تطلّعَ في وجهه وابتسمْ
وأدناه يسأله: ما به؟ ... فلم يبدأ الردّ حتى وجَمْ
فمدّ الى صدرِه راحةً ... بلمستها كمْ شقاءٍ حسَمْ
وعاد «فضالةُ» في غمرةٍ ... من الوجْدِ فوق مجال الحلُمْ
وليس أحبُّ الى قلبه ... من المصطفى بعد محيي الرمَمْ
ففي لحظةٍ طَهُرتْ روحُه ... فليس لها في سوى اللهِ هَمْ
ويعبرُ بامرأةٍ طالما ... غزتْ قلبَه قبْلها فانهزمْ
فتهتفُ: هيّا الى شأننا ... ويهتف: يأبى الهدى والشَّمَمْ
تنحّيْ فبالحق ثاب النهى ... وبالنور ليلُ الضلالِ انحسَمْ
ولن ينكأَ الإثمُ جرحاً أمرّت ... يدا أحمدٍ فوقه فالتأمْ
ولن يقربَ الغيَّ صدرا أضاء ... جوانحَهُ حبُّ خيرِ الأمَمْ

... وأمضي وأمضي.. ولولا الأذانُ ... توالتْ رؤايَ فلم تنفصمْ
فليتَ مواكبَها لم تكفَّ ... وأحلامَها البيضَ لم تنصرمْ
ولكنْ حبيبٌ نداءُ الصلاةِ ... ولا سيما في ظلال الحرَمْ

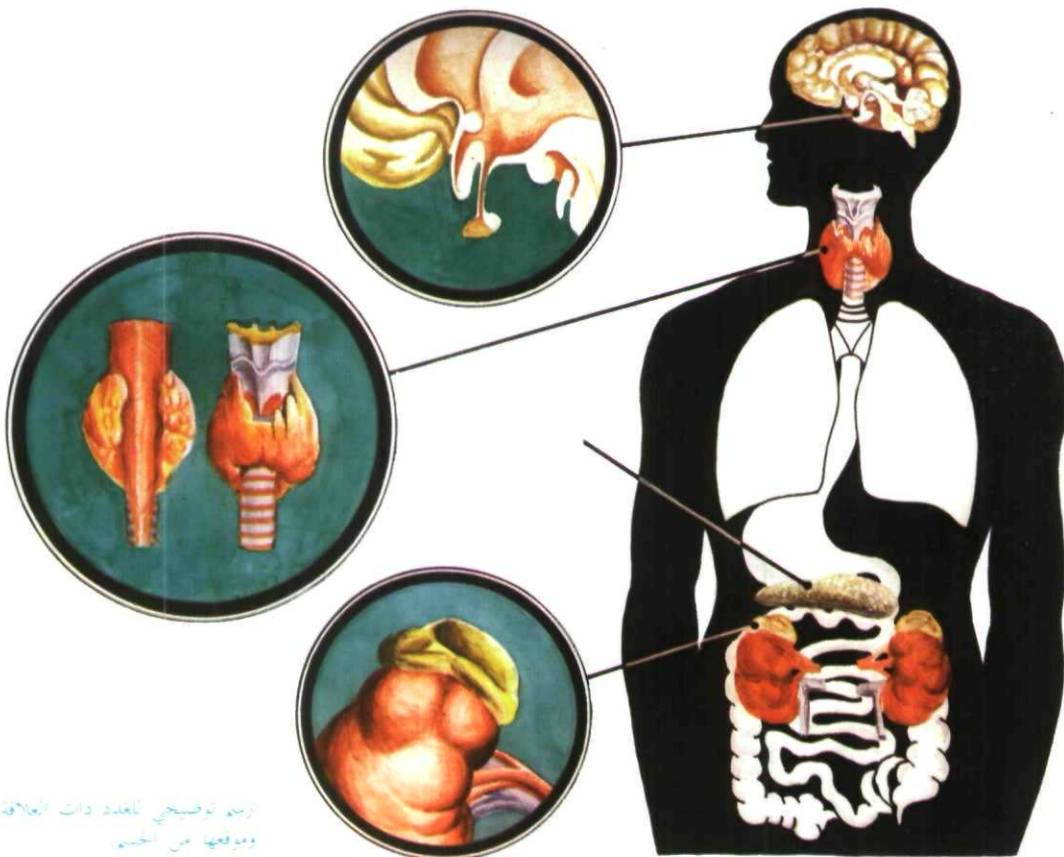


ندوة عن :

مرض السكري

- مرض يصيب الأطفال والشباب والشيوخ.
- سببه مجهول ومسبباته معروفة.
- الشفاء منه صعب مع أن علاجه متوفر.
- مضاعفاته عديدة ولكن يمكن الحد منها.
- تاريخه عريق وأدويته الحديثة فعالة.
- يلازم المرء طوال حياته ولكنه غير معد.

عقدت مجلة "القافلة" مؤخرًا ندوة عن مرض "السكري" شارك فيها ستة من الأطباء العاملين في مستشفيات المنطقة الشرقية بالمملكة العربية السعودية وهم: د. محمد شهاب أحمد - مستشفى أرامكو بالظهران، د. حسين محمد الفريجي - مستشفى الملك فهد الجامعي بالخبر، د. سعد عبد المجيد فراج - مستشفى الدكتور فخري بالخبر، د. عادل أحمد خيرت - مستشفى عبدالله فؤاد بالدمام، د. عبدالله علي الغامدي - مستشفى الملك عبدالعزيز بمطار الظهران الدولي، د. محمد زهير الحمصي - المستشفى المركزي بالدمام. كما شارك فيها الأستاذ عبدالله حسين الغامدي - رئيس تحرير القافلة.



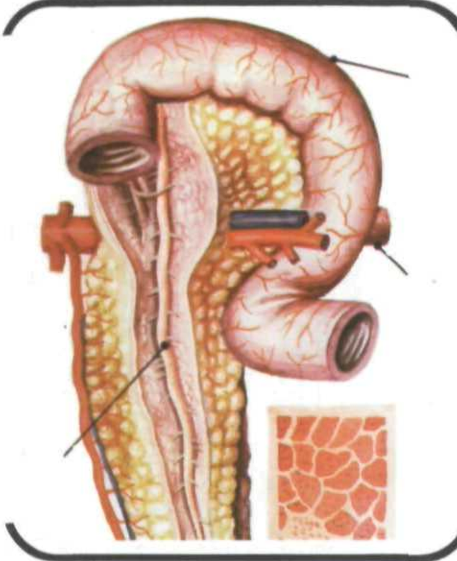
رسم توضيحي للغدد ذات العلاقة بمرض السكر وموقعها من الجسم

أعـراضه وعـلاجه

أعدّ لها وأجراها: ابراهيم أحمد الشنطي / هيئة التحرير



السادة المشاركون في الندوة من اليمين الى اليسار مع حفظ الالقاب: عبد الله حسين الغامدي، حسين محمد الفريحي، عبد الله علي الغامدي، محمد شهاب احمد، محمد زهير الحمصي، سعد عبد المجيد فراج، عادل أحمد خيرت، ابراهيم احمد الشنطي.



رسم توضيحي للبنكرياس.

مرض السكر أو السكري هو حالة يصبح فيها الجسد غير قادر على الاستفادة من السكر والمواد الغذائية الأخرى بكفاءة، وينتج ذلك من عدم وجود انسولين كاف في الجسد. ويعتبر البنكرياس الغدة الرئيسية التي يتم بواسطتها انتاج هرمون الانسولين. ويحتوي البنكرياس على العديد من الخلايا، بينما خلايا تتكون في مجموعات صغيرة تدعى «جزر لانجرهانز» وهي التي تفرز الانسولين. فاذا ما توقفت هذه الخلايا عن العمل أو اذا نقص انتاجها من الانسولين، وسبب ذلك لا يزال مجهولا، ازدادت نسبة السكر في الدم وأصيب المرء عند ذلك بالمرض.

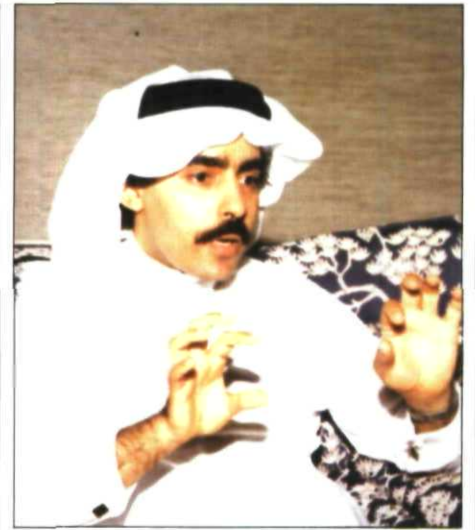
في عام ١٩٢٢ تمكن العلماء من فصل الانسولين لأول مرة، كما فكر علماء كثيرون في تطوير ادوية لهذا المرض، فتوصلوا الى حقن الانسولين والى ادوية اخرى تؤخذ بالفم، وقد حققوا معظم نجاحهم هذا في السنوات الاخيرة فقط.

ويقال ان هذا المرض كان معروفا، في الزمن القديم، في مصر والصين والهند، لكنه اليوم أشهر من ان يعرّف. ويعزى ذلك الى زيادة عدد المصابين التي صاحبت التحسن الملموس في توفر المواد الغذائية مما نتج عنه زيادة في معدل الوزن لدى الناس، والسمنة ذات علاقة مباشرة بالاصابة بمرض السكر، والمرض موجود في كل مكان وزمان، وكل بيئة ومجتمع. وقد اصبح اكتشافه سهلا وعلاجه ميسورا. ومع مراعاة المريض لارشادات الطبيب من حيث العلاج والحمية فانه، باذن الله، يمكن أن يعيش حياة قريبة جدا من الحياة الطبيعية لأي شخص سليم.

ونورد في ما يلي مجمل احاديث الأطباء وآرائهم وارشاداتهم ونصائحهم، التي دارت في هذه الندوة، حول هذا الموضوع، آملين ان يستفيد منه المصابون والاصحاء على حد سواء:

القافلة: ما هو مرض السكري؟ نرجو تعريفه باسلوب مبسط.

د. خيرت: هو زيادة نسبة السكر (الجلوكوز) في الدم، وينتج ذلك عن نقص مادة الانسولين التي يفرزها البنكرياس. والانسولين هرمون لازم للاستفادة من السكر الموجود في الدم عن طريق العضلات والكبد، كما يساعد على تحويل المواد السكرية الى طاقة حرارية لازمة للجسد. وقد يحدث الاّ يفرز البنكرياس الانسولين الكافي فتزداد نسبة السكر في الدم، او ان البنكرياس يفرز الانسولين بقدر كاف ولكن هناك عوامل اخرى تمنع الانسولين من القيام بعمله، وبالتالي لا يستفاد من السكر الموجود في الدم.



د. عبد الله علي الغامدي.

تعريفات عامة

• **البنكرياس Pancreas : غدة تقع خلف المعدة مباشرة وتمتد بين الاثني عشر والطحال يتراوح طولها في البالغين بين ١٥ و ٢٠ سم. وتزن بين ٧٠ و ١٠٠ غرام. ويتكون البنكرياس من جزئين: الاول غدة لعابية تقوم معظم خلاياها بافراز سائل ذي دور مهم لاتمام عملية الهضم. وتوجد هناك ايضا خلايا صغيرة، في مجموعات متقاربة تسمى جزر لانجرهانز Islets of Langerhans وهي التي تفرز هرمون الانسولين.**

• **الانسولين Insulin : هرمون تفرزه خلايا جزر لانجرهانز ، ويعمل على تخفيض نسبة السكر في الدم. وينتقل الانسولين في الاوعية الدموية الى سائر انسجة الجسم. كما يتحكم في العمليات الكيميائية الحيوية التي تسهم في استهلاك سكر الجلوكوز. وافراز الانسولين بطريقة منتظمة يجعله يتحكم بكمية الجلوكوز في الدم، قلة وكثرة.**

• **الهرمونات Hermons : مواد يصنعها الجسم بنفسه في خلايا الغدد الصماء وهي ذات تأثير مهم في اعضاء الجسم. ومن الغدد الصماء الداخلية التي تفرز الهرمونات الغدة الدرقية والغدة النخامية والغدة الكظرية.**

• **الغدة الدرقية Thyroid : تقع على جانبي اعلى القصبة الهوائية ومهمتها تنظيم الحرارة في الجسم، كما تعمل على سرعة استعمال الجسم للمواد الغذائية. فاذا اضطرب عملها اصيب الجسم بهزال شديد، واذا تباطأ اصيب الجسم والعقل بخمول عام، واذا اسرعت في عملها اصيب الجسم بهياج مصحوب بسرعة في النبض وبنشاط كبير.**

• **الغدة النخامية Pituitary : تقع في اسفل المخ ومهمتها تنظيم عمل الغدد الاخرى عن طريق تلقي اشارات من الدماغ، خاصة من منطقة ما تحت السرير البصري في الدماغ (هايبوثالمس Hypothalamos). فمثلا اذا زاد الهرمون الذي تنتجه الغدة الدرقية فان هرمون الغدة النخامية الذي ينشط الغدة الدرقية يقل تبعا لذلك والعكس بالعكس.**

• **الغدة الكظرية Adrenal : وتسمى ايضا الغدة فوق الكلية نسبة الى موقعها. يفرز الجزء الخارجي منها مادة الكورتيزون ذات الاثر الكبير في عملية تنظيم الملح والماء في الجسم وفي تقليل تفاعله مع الامراض. اما الجزء الداخلي منها فيفرز مادة الادرينالين التي تعمل كجهاز انذار ينبه الجسم الى ضرورة ارسال الدم بشكل مناسب الى الاعضاء المهمة كالمخ والقلب والرئتين.**



د. سعد عبد الحميد فراج.

د. فراج: هو مرض أو مجموعة أمراض تساعد في ارتفاع السكر في الدم وفي ادرار البول، كما انه يحدث اضطرابا في عملية هضم النشويات والدهن والبروتين.

د. احمد: مرض السكري هو نقص في عمل الانسولين سواء بسبب الكمية او بسبب الكيفية فقط، ثم ما ينتج تبعا لذلك. وما ارتفاع كل نسبة السكر في الدم بالضرورة هو مرض السكري.

د. الحمصي: ما سبق الحديث عنه هو تعريف بمرض السكري الأولي الذي ربما ينتج عن الوراثة أو اضطراب في المناعة، ثم هناك مرض السكري الثانوي الذي يشمل اضطرابات في الغدد الصماء كالغدة الدرقية او النخامية او الكظرية، ويؤدي اختلال هذه الغدد في عملها، كزيادة نشاطها، الى ارتفاع نسبة السكر في الدم.

القافلة: ما هي الاعراض الأولية لهذا المرض التي قد تبدو على جسد المصاب؟

د. فراج: كثرة شرب الماء وادرار في البول وجفاف في اللعاب ونقص في الوزن. ومن الاعراض ايضا الشعور بالحكة في الجسد وخاصة في المواضع الحساسة منه. وهناك أمور يجب، عند تكرار حدوثها، فحص نسبة السكر في الدم ومنها: ضعف عام في الجسم، الم متواصل في الاسنان، ضعف في البصر، تكرار ظهور الدمامل، استمرار الحكة، اسقاط الجنين المتكرر بالنسبة للسيدات الحوامل، وكبر حجم المولود.

د. الحمصي: كذلك يشعر المريض بالارهاق لدى القيام بأي عمل، وربما يحدث نقص في الوزن على الرغم من ان المصاب يأكل كمية كافية من الطعام. وقد تظهر زيادة السكر في الدم دون ظهور أي من الاعراض السابقة، ويحدث هذا بنسبة ١٠ ـــ ١٥ في المئة من المصابين، وخاصة عند الشباب. فلا يظهر لديهم الا لدى حدوث اغماء. فيفقد المريض الوعي ويصاب بما يسمى بالحماض السكري والغيبوبة السكرية.

د. احمد: من اعراض ظهور السكري لدى الأطفال هو كثرة التبول في الفراش. كذلك تتضح اصابة الاطفال بالسكري لأول مرة بنسبة ٢٠ في المئة في غرفة الطوارىء. وتظهر زيادة السكر في الدم والاحماض والاسيتون والغيبوبة. وحبذا لو يجري المرء، وخاصة الذين فوق الأربعين فحصا دوريا للسكر كل سنة او اثنتين فهذا يساعد على اكتشاف السكر في وقت مبكر.

د. الغامدي: هناك نوعان من المرض احدهما يصيب الصغار والشباب، والآخر يصيب الكبار في السن، من الجنسين طبعا. وقد يكتشف المرض لدى فحص المسالك البولية عند المريض لوجود التهاب بها، او لدى اصابته بالسل. فيظهر ان مناعته كانت ضعيفة نظرا لاصابته بالسكري. وقد يأتي شخص يشتكي من ضعف قدرته الجنسية، ولدى الفحص يتبين انه مصاب بالسكري. ولذا يمكن القول بان الاعراض سلسلة طويلة وقد يكتشف المرضُ عن غير طريق الاعراض العامة المتعارف عليها.

د. الفريحي: ربما يأتي شخص يشتكي من ضعف في البصر ولدى فحصه يظهر انه مصاب بالسكري. فالمرض في آخر مراحله يؤثر على شبكة العين والقرنية. اما من حيث الفحص الدوري فربما لا يكون ضروريا اذا كان المرء طبيعيا ولا يشتكي من اية اعراض. اما اذا ظهرت اعراض او اشتكى من شيء فعليه الا يتردد في مراجعة الطبيب، ولا بأس من فحص دوري كل سنتين لمن يتجاوز الاربعين.

القافلة: ما هو دور طبيب العائلة في الوقاية من هذا المرض وعلاجه؟

د. الحمصي: حبذا لو يكون هناك طبيب خاص او مستوصف تراجعه العائلة دوريا ويحتفظ فيه لأفرادها بملفات تبين التاريخ الطبي لكل منهم. فالطبيب في هذه الحالة يكون أقرب الى التعرف بامراض الاسرة ومشاكلها الصحية، ومنها مرض السكري الذي تعتبر الوراثة من اسباب الاصابة به، فيعمل الطبيب الفحوصات الضرورية في محاولة لاكتشاف المرض في وقت مبكر.

د. الغامدي: ان فكرة طبيب العائلة لا شك فكرة جيدة، سواء لمراقبة السكري أو غيره، وهي موجودة في الرياض وفي الطائف وفي المستشفيات التي تديرها شركات، ولا شك ان الطبيب هنالك يكون اسرع من غيره في اكتشاف المرض، وسوف يساعد كثيرا في توفير الخلفيات عن المرض والمريض اذا ما حوله للطبيب المختص بغية استكمال العلاج.

القافلة: هل مرض السكري نوع واحد أو أكثر؟ وما هي الانواع التي تكثر في هذه المنطقة؟

د. الحمصي: يمكن تقسيم مرض السكري الى نوعين رئيسيين بدئي (اولي) وثانوي:

البدئي منهما يشكل حوالي ٩٥ في المئة من الحالات، وهو الذي يعتقد بأن للوراثة دورا مهما في انتقاله من الآباء والامهات الى الابناء. وهو يقسم بدوره الى نوعين:

النوع الأول: يصيب الأطفال والشباب في مقتبل العمر وتلعب الوراثة دورا كبيرا فيه، وهنا يكون الانسولين ناقصا بشكل شديد بسبب قصور البنكرياس في افرازه، وغالبا ما يكون هؤلاء المرضى نحيلين ويتصف هذا النوع بعدم استقراره وبحاجة المصابين به الى الانسولين في العلاج.

النوع الثاني: يصيب عادة الكهول والمتقدمين في السن، وغالبا ما يصيب الاشخاص السمان، ويكون الانسولين لديهم ناقصا بشكل نسبي، واحيانا طبيعيا واحيانا اخرى زائدا.. نظرا لوجود مضادات للانسولين في الجسم تقاوم فعل الانسولين، وهؤلاء المرضى يستفيدون من انقاص اوزانهم وتناول علاجات السكري عن طريق الفم، واحيانا المشاركة بين علاجات السكري عن طريق الفم والانسولين معا.

أما مرض السكري الثانوي، ويشكل حوالي ٥ في المئة من الحالات على الأكثر، فينتج عن ارتفاع في سكر الدم نتيجة لخلل او افراط في نشاط عدد من الغدد الصماء في الجسم كالغدة الدرقية والغدة النخامية والغدة فوق الكلى (الكظرية) أو بسبب دوائي كالكورتيزون، وهذا النوع من المرض يمكن ان يشفى منه نهائيا اذا عولج السبب بشكل كاف.

وهناك ما يسمى بمراحل مرض السكري، كالمرض السكري الكامن، اي ان هناك حالة عائلية أو حالات حمل (ولادة اطفال زائدي الوزن أو اجهاضات متكررة، موت الأجنة) قد توحي بوجود مرض سكري كامن. وهناك المرض السكري الخفي الذي يظهر فقط عند تعرض الجسم لحالات الشدة والانتانات «الالتهابات الجرثومية» والحمل وغيرها. ثم مرحلة ما قبل السكري، وهنا يكون اختبار تحمل السكر ايجابيا بشكل دائم، وأخيرا تأتي مرحلة مرض السكري الذي تحدثنا عنه.

د. أحمد: لو ان هذه الندوة عقدت قبل سنوات لأمكن القول ان هناك عدة أنواع من المرض، لكن المتعارف عليه اليوم ان المرض على نوعين: الاول يعتمد علاجه على الانسولين ويصيب فئة الأطفال والمراهقين والشباب، والآخر لا يعتمد على الانسولين ويصيب فئة المتقدمين في العمر. وهذا لا يعني ان كل نوع مقصور على فئة من الناس فقط، بل ان كلا منهما قد يصيب الفئة الأخرى وفي مختلف الأعمار. والتركيز اليوم على هذين النوعين فقط حسب توصيات الجمعيات المتخصصة.

د. خيرت: في عام ١٩٧٩ قامت منظمة الصحة العالمية بوضع تصنيف وتقسيم لمرضى السكري، يعتمد في المقام الأول على مدى احتياج المريض للأنسولين، ثم على عوامل اخرى مختلفة مثل السن، الوراثة، العوامل المناعية، السمنة، فترة الحمل. ومن خلال هذا التصنيف يمكننا القول بأن مرض السكري هو مجموعة واحدة من امراض تشترك في ارتفاع



د. محمد شهاب احمد.



د. محمد زهير الحمصي.



د. عادل احمد خيرت.

نسبة السكر في الدم. اما النوع الذي لا يعتمد في علاجه على الانسولين، ويسمى النوع الثاني Type II ، فيصيب كبار السن — خصوصا فوق الاربعين — الذين لديهم زيادة في الوزن، وهو النوع الشائع في هذه المنطقة.

القافلة. هل للوراثة والبيئة ونوع الغذاء دور في الاصابة بالمرض؟

د. احمد: بالنسبة للأطفال يوجد للوراثة عامل في الاصابة بالمرض من النوع الأول. أما بالنسبة للنوع الثاني فعامل الوراثة اكثر. ومع انه لا تعرف نوعية هذه الوراثة الا ان هناك علاقة ايجابية مباشرة، وثبت ذلك بعد اجراء بعض الفحوصات المعملية الحديثة. اما بالنسبة للبيئة فقد اجريت عدة دراسات حول النوع الاول، الذي يصيب الأطفال والشباب، فافادت انه يحدث في فصل الشتاء اكثر مما يحدث في فصل الصيف. وانه قد يكون موجودا في بعض المجتمعات اكثر من غيرها. وقد يستدل من ذلك ان للبيئة دورا ولكنه غير معروف. أما بالنسبة للغذاء فليس له دور.

د. فراج: قد نقول ان للغذاء دورا غير مباشر، اذا كان هذا الغذاء يؤدي الى السمنة التي لها دور في الاصابة بالمرض. فالوزن المثالي عامل مهم وعليه تكون ضرورة التحكم في الغذاء. والمعروف ان من الشعوب من يعتمد على الحبوب كالقمح، وفيها نسبة عالية من النشويات، ومنها ما يعتمد على اللحوم وفيها نسبة عالية من البروتين. وهذا النوع او ذاك يؤثر على الوزن اذا لم يؤخذ باعتدال.

د. الغامدي: يمكن القول ان الدور هو لكمية الغذاء وليس لنوعه، لكمية السعرات الحرارية التي يتناولها الشخص. اذا اجتمعت كمية كبيرة من الطعام، وخاصة الدهنيات والسكريات، فاحتمال زيادة الوزن وبالتالي السمنة ثم التهيؤ للاصابة بالمرض يصبح احتمالا واردا.

د. احمد: لا شك ان للسمنة دورا في الاصابة. في النوع الثاني، الذي يصيب المتقدمين في السن، يبدو ان لدى السمان منهم مشكلة فيما يسمونه بالخلية المتلقية للانسولين Insulin Receptor ولهذا اثر في فعالية



الاستاذ عبد الله حسين الغامدي والدكتور حسين محمد الفرجي

الانسولين والاستفادة منه. وهذه المشكلة غير قائمة في النوع الاول. ولا تزال الأبحاث تجرى حولها، ولا شك ان تخفيض الوزن يؤدي الى تحسن حالة المريض.

د. خيرت: المشكلة هي ان الخلية «المتلقية» في الاجسام السمينة تكون مغطاة بالشحم، الأمر الذي يحول بينها وبين تلقي الانسولين. فاذا نقص وزن المصاب نقصت كمية الشحم التي تغطيها وعادت الى عملها لتلقي الانسولين والافادة منه. كذلك فان العديد من الأبحاث الحديثة اكدت وجود علاقة ثلاثية وثيقة بين كل من: **عوامل البيئة** — وتتضمن نوع وكمية الغذاء، الالتهابات الفيروسية، فصول السنة المختلفة. **وعوامل الوراثة** — عن طريق خلايا الانسجة المعروفة بـ HLA، **وعوامل المناعة** — من خلال الاجسام المضادة لخلايا البنكرياس او للانسولين. ان التفاعل بين هذه العوامل المختلفة هو الذي قد يؤدي الى ظهور مرض السكري.

القافلة: هل هناك سبل لتجنب الاصابة بالمرض أو الوقاية منه؟

د. الغامدي: قد يكون ذلك ممكنا في النوع الثاني الذي يحصل في وقت متأخر ويكون ناتجا عن السمنة. ولعل مما يساعد في الوقاية منه المحافظة على الوزن المثالي بالنسبة للشخص، وهذا يختلف من فرد الى آخر حسب الطول والجنس، وكذلك القيام ببعض التمارين الرياضية، اذ انها تساعد على انقاص الوزن.

د. الحمصي: قد ينصح الاطباء، احتياطا، عدم تزاوج المصابين بالسكري من بعضهم وذلك وقاية لأطفالهم. حيث ان احتمال اصابة ابناء المصابين بمرض السكر اكثر من احتمال اصابة ابناء غير المصابين به. وهذا طبعا من باب الاحتياط والوقاية وليس المنع.

د. احمد: تقول الدراسات انه اذا كان احد الزوجين فقط مصابا بالنوع الأول من مرض السكري، فان نسبة اصابة اطفالهما بالمرض تصل الى نحو ٥ أو ١٠ في المئة. أما اذا كان الزوجان، كلاهما، مصابين بالمرض، النوع الأول، فان النسبة قد ترتفع الى حوالي ٥٠ في المئة، وهذا ما اعتمد عليه في القول بان للوراثة دورا في الاصابة بالسكري من النوع الأول.



الاستاذ ابراهيم احمد الشيخ



القائمون على رعاية الطفل المصاب بالسكري يجب ان يكونوا قادرين على اعطاء حقن الانسولين للمصاب كلما احتاج لذلك.

القافلة: ما هي السبل المتبعة حاليا لتشخيص المرض؟

د. الفريحي: عندما تظهر الاعراض على شخص ويحضر للعيادة فان الطبيب عادة يجري الفحوص اللازمة ليقطع الشك باليقين، ويبدأ بفحص البول بحثا عن السكري ثم يفحص الدم لمعرفة نسبة السكر فيه، اذ ان فحص البول لا يكفي. ويكون الفحص على حالتين احداهما بعد صيام الشخص بضع ساعات والاخرى بعد تناول الغذاء بساعتين. فاذا لم يحصل الطبيب على جواب قطعي، فانه يعطي المريض جرعة مركزة من الجلوكوز ومتابعة السكر في الدم والبول في وقت واحد، وهذه الحالة الاخيرة قليلا ما يلجأ اليها الطبيب. وهناك حالات استثنائية كأن يفرز الجسم الانسولين ولا يستفيد منه لوجود بعض المضادات او اختلاف في تكوين الانسولين، وهذه حالات نادرة ويمكن التحقق من وجودها باجراء فحوصات خاصة.

د. خيرت: قد يظهر لدى بعض السيدات الحوامل شيء من السكر في البول أو في الدم ولكنه يختفي بعد الوضع، وهو ما يعرف بسكري الحمل. فيفحص الطبيب دم المريضة بحثا عن وجود خلايا مضادة لخلايا البنكرياس، فان وجدت فيحتمل ان يستمر السكري معها الى ما بعد الوضع.

د. احمد: هناك اختلاف في تشخيص المرض بنوعيه، ففي الأول اذا ظهرت الاعراض لدى شخص ما وظهر وجود السكر في البول او ان نسبة السكر في الدم مرتفعة بنسبة تزيد على المعدل، فاحتمال اصابته بالسكر امر وارد، اما النوع الثاني فلا بد من اجراء فحوصات أخرى.

القافلة: كيف يتم علاج المرض عندما يتضح وجوده في شخص ما؟ وهل يمكن ان يشفى المريض كليا منه؟

د. خيرت: يتوقف ذلك على نوع المرض، هل هو من النوع الأول أو الثاني. في الأول، وهو غالبا ما يصيب الأطفال والشباب، يكون العلاج بحقن الانسولين حيث ان البنكرياس عندهم لا يفرز هذه المادة، لعجز في الكلي، التي تساعد على تحويل السكر في الدم الى طاقة للجسم. اما النوع الثاني، وهو غالبا ما يصيب المتقدمين في السن، ٤٠ سنة فما فوق، فيكون افراز البنكرياس، لديهم، لمادة الانسولين غير كاف لحاجات الجسم، لعجز جزئي في الكلي، فتعطى لهم أدوية بواسطة الفم لتنشيط البنكرياس على انتاج انسولين بكمية اكثر.

كذلك يعتمد العلاج على الغذاء. ففي حالة الصغار يكون الطعام مناسبا لعلاجهم ونموهم معا. فأجسادهم تحتاج للنمو، ومنعهم من تناول أنواع من الغذاء سيحول دون نموهم، لذا لا بد ان يكون الغذاء متوازنا كعلاج ودواء. اما لدى الكبار فالحالة اهون قليلا حيث ان اجسادهم يكون قد اكتمل نموها، ولكن لا بد من توافق نسبة الغذاء مع وزن جسم المريض وعمله ونوع الغذاء الذي يتناوله.

أما من حيث الشفاء كليا من المرض فأمر صعب، حتى الآن، لكنه يمكن التحكم فيه، واذا تعاون المريض مع الطبيب وحافظ على اتزان وزنه ودوائه فانه قد يعيش حياة عادية تقريبا، ما شاء الله له العيش والبقاء. ومع ذلك فقد تشفى الحوامل، كليا، من السكر الذي ظهر معهن خلال فترة الحمل. وعلى اية حال على المريض الا يخدع نفسه اذا لم يظهر السكري لديه عند عمل بعض الفحوصات، فقد تقل نسبته او تختفي لفترة قصيرة فقط، فعلى المريض الا يتهاون في الاستمرار في تناول الدواء ولا يظن انه قد عوفي كليا.



الممرض يُري الطفل والقائمين على رعايته كيفية استعمال الابرة والانسولين.

د. فراج: المتعارف عليه من حيث الوزن للكبار الا يتجاوز ٨٠ كلغم تقريبا، وهذا شيء ضروري، وعلى المريض ان يراقبه باستمرار ويتبع ارشادات الطبيب من حيث الحمية. وبطبيعة الحال يعتمد الوزن المثالي على طول قامة المريض. وهناك من الحبوب ما يستمر مفعوله الى ما بين ٤ و٦ ساعات ومنها الى ما بين ١٢ و١٨ ساعة ومنها ما هو اكثر. غير انه في حالات الحوامل فقد تعطى المرأة حقن الانسولين بدلا من الدواء الذي يؤخذ عن طريق الفم.

د. الغامدي: هناك بعض التجارب التي تجرى حاليا، في بعض الدول المتقدمة، وتعمل على زرع جهاز بنكرياس اصطناعي، كما ان



هناك أشرطة تثقيفية عن السكر وعلاجه. ينصح الاطباء المصابين والقائمين على شؤونهم بمشاهدتها للتعرف على المرض وعلاجه.

هناك عمليات جراحية لزرع بنكرياس يؤخذ من متبرع سليم، ولا يزال هذا أيضا قيد التجارب.

د. الفريحي: يبدو لي ان علاج النوع الثاني من السكري، وهو سكر الكبار، يفضل ان يكون عن طريق الفم لأنه أسهل ويؤدي الى تجاوب أفضل من ناحية المريض في هذه المنطقة. كذلك هناك انواع متعددة من الأنسولين وبمختلف الاحجام ومنها المركز الذي يحتوي على ٥٠٠ وحدة لكل سنتمتر مكعب، ومنها الذي يحتوي على ٤٠ فقط. والمعروف انه كلما ازداد تركيز الانسولين كان افضل وانقى. وقد عقد مؤخرا اجتماع في احدى الجامعات المحلية وأوصى ان يكون الانسولين من النوع الذي يحتوي على مئة وحدة لكل سم مكعب. وهذا لا شك أفضل لكونه انقى واسهل بالنسبة للمريض نفسه، ومن حيث التحكم بالكمية المطلوبة. اما من حيث تركيب مضخة مليئة بالانسولين تزود الجسم به كلما لزم، فهذا امر لا يزال في طور الدراسة ولا ينصح به بصفة عامة. وهناك نقطة مهمة اود الاشارة اليها وهي ضرورة تعاون المريض مع الطبيب، فلا يتوانى المريض عن تناول العلاج بانتظام، لأن التفاوت في أخذه او التوقف عن ذلك قد يوجد مضاعفات لديه. ولذا نجد ان المرضى هنا يتناولون الانسولين بنسبة اعلى من معدل ما يتناوله المرضى في أوروبا مثلا، وهذا ناتج عن وجود مضادات في جسم المريض لكونه تناول الانسولين على فترات متقطعة، وعلى المريض تقع مسؤولية كبيرة في علاج نفسه.

القافلة: هناك من يقول باستخدام الطب الشعبي واستعمال بعض الأعشاب، فما هو رأيكم في هذا؟

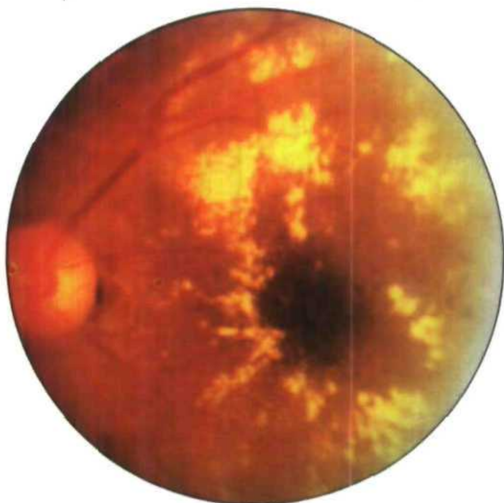
د. أحمد: بالنسبة لمرض السكري لا أرى مجالا للطب الشعبي فيه. قد يكون للطب الشعبي دور في معالجة الكسور، وهو أيضا ما لا ننصح به، اما من ناحية السكري فلا، بل انه ربما يجلب الضرر. كذلك يجب ترشيد المرضى وذويهم للتذكير بالعلاج المستمر والاسعاف في الحالات الطارئة. وكلما ادرك المريض وذووه مختلف حالات هذا المرض ازدادت القدرة على التحكم به وضبطه. والأمل الآن منعقد على الأبحاث الطبية. فمنذ اكتشاف الانسولين في عام ١٩٢٢ الى اليوم لم يحظ مرض السكري من الاهتمام بقدر ما حظي به خلال السنوات السبع أو الثماني الماضية. فالتقدم سريع وقد أصبح بالامكان الآن التحكم بنسبة الانسولين في الدم ومراقبته.

د. الغامدي: علاج السكري بواسطة الطب الشعبي علاج لا يوصي به طبيب، قد يؤدي هذا العلاج الى انقاص السكر في دم المريض ولكنه ايضا قد يصيبه بغيبوبة نقص السكر. وامكانات الطب الحديث متوفرة ومأمونة. وعلى المرضى ان يتعاونوا مع أطبائهم من حيث العلاج والحمية كذلك، وهي ضرورية جدا. وهناك مختصون في الحمية وبامكانهم وضع برنامج غذاء متكامل للمريض، لا يحرمه من طعام ولا يؤذيه في معالجة.

د. الفريحي: نشر فريق من الباحثين في جامعة الملك عبد العزيز بجدة مؤخرا دراسة عن موضوع الطب الشعبي في علاج السكري وأكدت هذه الدراسة عدم جدوى الطب الشعبي في علاج مرض السكري. وعليه يجب ترشيد المصابين في هذا الشأن وعدم تناول اي علاج الا بعد التأكد من سلامته وفائدته.

د. خيرت: قد يكون هناك بعض الأعشاب التي تساعد في التحكم في ارتفاع نسبة السكر في الدم، وهي في هذه الحالة لا تزيد على ما يفعله الدواء الذي يأخذه المريض من الصيدلية. لذا فلا داعي الى الاتجاه للطب الشعبي لأن احتمال ظهور ضرر منه احتمال وارد.

د. الحمصي: ان اهم ما يجب ان يفهمه المريض من هذا المرض انه سوف يلازمه طوال حياته، ولذلك يجب ان يكون العلاج متوازنا، وينقسم الى ثلاث نقاط: **أولا**، الحمية الدائمة المتوازنة والمشتملة على العناصر الغذائية المطلوبة مع المحافظة على الوزن المثالي. **ثانيا**، اخذ العلاج بطريقة منتظمة سواء كان بحقن الانسولين او عن طريق الفم. **ثالثا**، تنظيم حركة المريض الجسدية وما يبذله من جهد مع مقدار الدواء الذي يأخذه، فالجهد يحتاج الى طاقة، وهي ناتجة عن سكر الدم، ولا بد من



صورتان تبينان مدى تأثير مرض السكر على العيون.

عمل توازن في ذلك. وهذه نقاط ثلاث يجب على المريض ان يدركها ويلتزم بها حتى يستطيع التعايش مع مرضه.

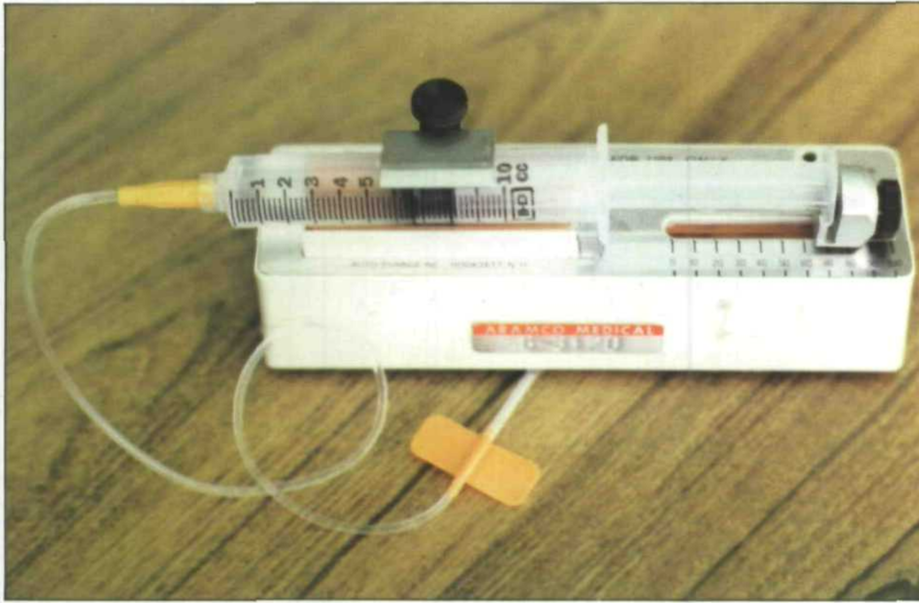
القافلة: هل المريض بالسكر اكثر عرضة من غيره للاصابة بأمراض أخرى؟ وما هي تلك الامراض أو المضاعفات؟

د. فراج: نعم... فمناعة مريض السكري ضد الأمراض الأخرى أقل من غيره، حتى ضد نزلات البرد. فمن ضعف في النظر الى امراض الفم والاسنان وهي كثيرة، فامراض في الصدر والقلب وتصلب الشرايين وضغط الدم العالي والجهاز العصبي والدورة الدموية في الارجل، فمريض السكري اذا ما حدث التهاب في رجله فان شفاءه منه صعب.

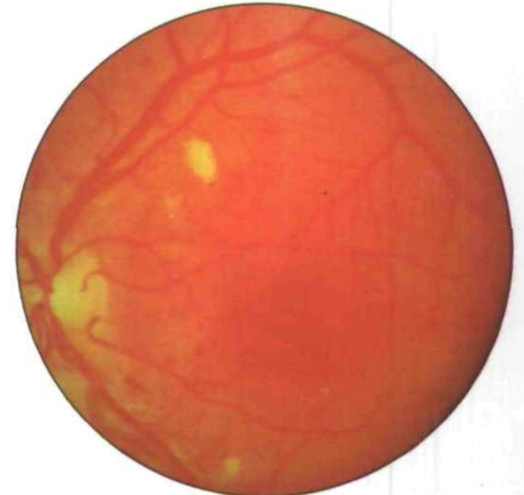
د. الفريحي: مرضى السكري معرضون للاصابة بالأمراض المعدية أكثر من غيرهم، فالمناعة عندهم أقل. كما أن هناك امراضاً أخرى تنتج عن مرض السكري نفسه كما ذكر سابقا اضافة الى الاسهال وحصر البول والفشل الكلوي.

د. خيرت: لقد ثبت ان السكري يؤثر على تكوين الأجسام المضادة وعلى مناعة الجسد على مستوى الخلية نفسها. وبذلك تضعف قدرة جسد مريض السكري على المقاومة اذا ما تعرض لأي نوع من الأمراض.

د. أحمد: هناك أمراض ومضاعفات، فمن مضاعفات السكري مثلا ان معظم الذين يفقدون بصرهم في الولايات المتحدة الامريكية بين سن ٣٥ و٤٠ سنة هم من المصابين



جهاز حقن آلي قد يستخدمه مرضى السكر، لكن استعماله لا يزال على نطاق ضيق جدا.



اليمنى في مرحله أولية واليسرى في مرحلة متقدمة.

بالسكري، ويكون ذلك ناتجا عن الاصابة بهذا المرض.

القافلة: هل هناك فئة من الناس اكثر عرضة للاصابة بالسكري من غيرها؟

د. الحمصي: ان حوالي ٢٥ في المئة من الناس لديهم الاستعداد للاصابة بهذا المرض، لكن حوالي ٥ في المئة فقط يصابون به. وليس للسكري علاقة بالعرق او الجنس او الوضع الجغرافي او المناخ. وكما ذكرنا سابقا الاشخاص السمان وكذلك النساء اللواتي تجاوزن الخامسة والاربعين من العمر، اكثر عرضة للاصابة بالمرض من الآخرين.

د. احمد: الواقع ان الاصابة بالمرض قد تبدأ مع بداية العمر، اي في سن الطفولة. وقد يختفي المرض في حالات معينة وهي سكري الوليد، ويبقى في حالات اخرى منذ الولادة حتى الوفاة.

القافلة: هل تؤدي الازمات النفسية الى الاصابة بالمرض؟

د. احمد: الازمات النفسية تزيد في طلب الجسم على الانسولين، فالطفل او الشاب المصاب بالسكري اذا ما اصيب بازمة او احباط نفسي يحتاج الى انسولين اكثر. والاصح هو ان مرضى السكري معرضون للاصابة بالازمات النفسية والعصبية اكثر من الاصحاء.

القافلة: هل يتوقع ان يصل العلم يوما ما الى علاج هذا المرض كلية؟

د. الغامدي: الامل بالله، فعلاج المرض حاليا يختلف عما كان عليه في السابق. فقد توصل العلم الى علاج الحالات الحادة في هذا المرض وتخفيفها. فالتوعية زادت اليوم وأخذ المرضى يتقيدون بالحمية، وتوفرت الأدوية كحبوب أو حقن انسولين، وهذه خطوات واسعة في المجال وهناك حالات زرع البنكرياس لدى المصابين.

القافلة: هناك اخبار علمية تتحدث عن زراعة الخلايا. فالى اين وصلت؟

د. احمد: لقد وصلت زراعة الخلايا في الحيوانات مرحلة لا بأس بها، لكنها في الجسد الانساني لا تزال في اولى مراحلها. والحالات التي تمت فيها زراعة البنكرياس، هي زرع البنكرياس والكلى معا. اذ ان مشكلة رفض الجسد للبنكرياس لا تزال قوية، بعكس الكلى التي بلغت درجة كبيرة من النجاح. وهناك تجارب لتهيئة الجسم لاستقبال الخلايا الجديدة، فاذا تكللت هذه الجهود بالنجاح فلربما تتطور الحال.

د. الغامدي: هناك محاولات لتصنيع الانسولين البشري من بكتيريا غيرت مورثاتها

Genes لانتاج انسولين يطابق، في تركيبه الكماوي، ما ينتجه الجسم البشري. فاذا ما تمكن العلماء من بلوغ درجة متقدمة في هذه الابحاث فسيوفرون فرصا طبية لمساعدة المصابين بالسكري.

د. خيرت: لا شك ان زراعة الخلايا، اذا ما نجحت، ستحل الكثير من المشكلات والمأمول انها ستتفوق على زراعة البنكرياس. حيث اظهرت النتائج المبدئية لزراعة الخلايا في الانسان احتمال ان تكون هذه الطريقة املا في الشفاء الدائم لمريض السكري، والمشكلة التي تواجه العلماء حاليا هي فصل الخلايا، وهم بصدد التغلب عليها، ان شاء الله.

القافلة: ما هو مدى تأثير السكري على الحوامل والأجنة ونمو الاطفال؟

د. الفريحي: قد تظهر علامات لوجود السكري في البول عند الحامل، لكنه ليس بالضرورة ان تكون مصابة بمرض السكري. واذا لم تكن فعلا مصابة بالمرض فان هذه العلامات تزول بعد الوضع. والحامل ايضا معرضة للالتهابات المهبلية اكثر من غيرها كما انها معرضة للولادة بالعملية القيصرية، اذ ربما يكون حجم الطفل، عند الولادة، اكبر من الحجم الطبيعي فيصعب خروجه بالطريقة الطبيعية. والمعروف كذلك ان متطلبات الانسولين اثناء الحمل اكثر، وهو يزداد مع تقدم الحمل. ولذا يجب ان يضبط السكر بالدم بشكل دقيق حتى تتم عملية الحمل بسلام. وقد يلزم ادخالها الى المستشفى قبل موعد الولادة بشهر او اكثر ولهذا فوائد عديدة، وعلى رأسها تلافي فقدان الجنين. اما بالنسبة للجنين فانه، بالاضافة الى زيادة حجمه، قد يتعرض، في الاسابيع الاولى، للاصابة بمرض في الجهاز التنفسي ناتج عن عدم اكتمال نموه، وقد يتعرض الى انخفاض في نسبة السكر وهذا له اثر على الدماغ اذا ما استمر هذا الانخفاض وقتا طويلا.

د. الغامدي: قد تحدث بعض التشوهات الخَلْقية لأجنة النساء الحوامل المصابات بالسكري، كما ترتفع نسبة الاجهاض بينهن وكذلك نسبة وفاة الاطفال بعد الولادة اذا ماقورنت بغير المصابات بالمرض.

د. احمد: تقدر نسبة التشوهات الخَلْقية بين اطفال المصابات بالسكري، بنحو ٦.٥ في المئة بينما هي في الحالات الاعتيادية في حدود ٢ في المئة. هذا علاوة على زيادة الاصابة باليرقان والالتهابات وامراض الصدر. كذلك يجب ان يكون برنامج الحمية المتبع من قبل الحوامل متزنا جدا لتغذيتها وجنينها معا، فلا ينقص شيء من حاجتيهما. ومما نود التأكيد عليه في هذه الندوة هو ضرورة التحكم في نسب السكر الى درجة قريبة من الطبيعي لأن ذلك يبعد المريض، سواء الحامل او غيرها، عن مضاعفات السكري مثل تصلب الشرايين، القلب، فقدان البصر، وغير ذلك. كذلك لابد من التأكيد على ضرورة تثقيف المريض واهله من اجل التعرف على هذا المرض وعلاجه وخاصة الالتزام بالحمية، والى عدم الاخذ بما هو جديد دون استشارة الطبيب. فالاخبار العلمية العابرة غالبا ما تكون ناقصة ولابد من اخذها من مصدر موثوق به.

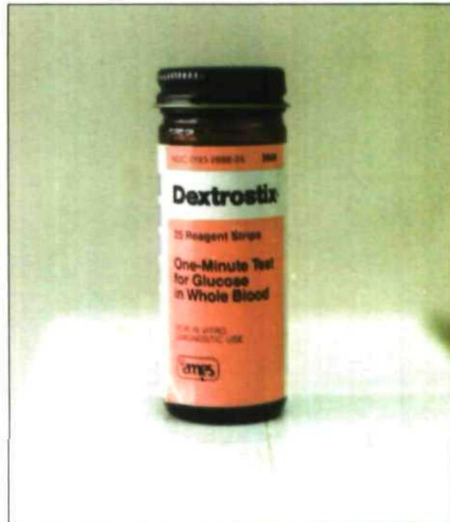
د. الفريحي: تقول بعض الدراسات ان ضبط السكر بدقة قد يفيد العين مثلا في حين انه يضر بالكلى، الا ان هذا لا يمنع من محاولة ضبطه الى حد طبيعي تقريبا، في الوقت الحاضر على الاقل، والى حين ان تتضح الامور اكثر في المستقبل.

القافلة: ماهي اعراض نوبة الاغماء بالنسبة للمصاب بالسكري؟ وهل تصيب من لديه نقص ام زيادة في السكر في الحالتين؟ وما هي وسائل الوقاية منها واسعاف من يصاب بها؟

د. الغامدي: انها نوبة تصيب الصغار والكبار، لكن نسبة الاصابة بها بين الذين يتداوون بالانسولين اكثر من الذين يتداوون بالحبوب. فاذا فرضنا ان النسبة في النوع الاول تصل الى حوالي ١٠ في المئة نجد انها في الثاني في حدود ٢ في المئة فقط لكنها تدوم معهم فترة اطول.

د. الحمصي: من اسبابها ان المريض قد يأخذ حقنة انسولين في الصباح دون ان يتناول طعاما فيتعرض للنوبة مساء، لانه لا يأخذ الغذاء الكافي الذي سيتحول الى سكر ويحوله الانسولين الى طاقة. كذلك اذا اصيب المريض بقيء مفاجيء بعد تناول الطعام فانه يفقد بذلك الغذاء اللازم، واذا قام المصاب برياضة شاقة او مجهود جسدي دون ان يحتاط للامر فانه قد يصاب بالنوبة ايضا.

د. احمد: من اهم اعراض الاصابة بالنوبة قبل ان تحدث: زيادة في ضربات القلب، زيادة في تصبب العرق، وجع في الرأس، الرجفة، تعب شامل في الجسد. وتكون الوقاية منها بالحذر مما يعرضه لها وبمراقبة ذلك وعلاجه حالا. كما يستحسن ان يحمل كل من لديه احتمال للاصابة بالنوبة قطعة من الحلوى يأكلها عندما يشعر بذلك. بالاضافة الى بطاقة ترشد من يحاول اسعافه الى انه مصاب بالسكري وان على المسعف ان يعطيه عصير فواكه أو سكرا مذابا او عسلا قبل حلول الغيبوبة. اما اذا صار في مرحلة الغيبوبة فيجب عدم اعطائه اي شيء عن طريق الفم ونقله الى اقرب مستشفى لاعطائه السكر عن طريق الشريان.

١


٢


د. خيرت: حالات الاغماء بشكل عام عند مرضى السكري نوعان: الاول نتيجة الارتفاع الشديد في نسبة السكر في الدم مع ظهور الحمّاض السكري — وعادة يكون ظهورها تدريجيا، والثاني نتيجة الانخفاض الشديد في نسبة السكر في الدم — وعادة يكون ظهورها مفاجئا وحادا. وفي كبار السن تبدأ، عادة بزغللة في العينين مع الاحساس بارهاق عام ورعشة باليدين وتصبب العرق، فاذا لم يتناول المريض بعض المواد السكرية، يبدأ في التهيج العصبي الشديد مع الاحساس بضربات القلب والصداع، وتنتهي الحالة بالتشنج والاغماء الكامل، واذا لم يتم اسعاف المريض بسرعة في هذه الحالة قد تكون النهاية مؤلمة.

٤



القافلة: ماهي مرحلة «شهر عسل» بالنسبة للاشخاص الذين يكتشف حديثا انهم مصابون بالسكري؟ وهل للعسل دور في مضاعفة هذا المرض او علاجه؟

د. احمد: بعض المصابين بالنوع الأول تكون لديهم كمية من الانسولين في البنكرياس، فيعيشون، قبل اكتشاف المرض لديهم، فترة عادية دون ان تظهر الاعراض عليهم. فاذا ما اكتشف المرض نجد ان كمية الانسولين هذه قد تعود للظهور مرة ثانية بعد ٣ — ٤ اشهر من اكتشاف المرض، حيث تقل نسبة السكر في الدم الى المستوى الطبيعي ويمكن ان يستمر الحال لمدة سنة بدون انسولين تقريبا. اما عن دور «العسل» فانه يسمح لمرضى السكري بتناول كميات معينة من السكريات والنشويات،ومن الممكن اخذ كمية من العسل

٣



ضمن هذا النظام. واني من المؤمنين بفائدة العسل في جميع الامراض لقوله تعالى «**فيه شفاء للناس**» ولكن العلم لم يتوصل بعد الى معرفة قيمة العسل في مرض السكري.

د. الغامدي: لوحظ ان هذا يحدث في الحالات الحادة، فلا يستطيع الجسم تحمل الوضع. وقد ترتفع نسبة الانسولين لفترة ثم تعود لطبيعتها.

د. الحمصي: ان العسل.. كغيره من المواد السكرية، لا يؤدي تناوله الى حدوث السكري مباشرة، ولكن ينصح مرضى السكري بتنظيم الغذاء بشكل متوازن من المواد السكرية والدهنية والبروتينية بحيث يكون نصيب المواد السكرية والنشوية حوالي ٤٥ في المئة والمواد الدهنية حوالي ١٥ — ٢٠ في المئة والمواد البروتينية حوالي ٣٥ — ٤٠ في المئة. ولا يتم ذلك الا بارشادات الطبيب وعمل نظام غذائي بحيث يتم توزيع هذه السعرات الحرارية على ٥ — ٦ وجبات صغيرة خلال ٢٤ ساعه، وتحاشي تناول وجبات طعام كبيرة غنية بنوع واحد من المواد الغذائية.

القافلة: هل يمكن تلخيص مضاعفات مرض السكري التي قد تحدث للمريض بغية الالمام بها والتنبه لها؟

د. الحمصي: تنقسم مضاعفات السكري الى نوعين:حادة ومزمنة، ومن اهم الحالات الحادة الاصابة بالسبات او الحمّاض السكري، والغيبوبة السكرية هي من اهم

١ — علبة فيها عيدان مدرجة تبين، لدى وضع قطرة من دم المصاب عليها، نسبة وجود السكر في دمه وذلك لدى مقارنة لونها بالالوان على ظاهر العلبة.

٢ — علبة تحتوى على عيدان مدرجة تستعمل لمعرفة نسبة وجود السكر في البول، وذلك لدى مقارنة لونها، بعد غمسها في البول، بالألوان الموجودة على غلاف العلبة.

٣ — جهاز حديث لمعرفة نسبة وجود السكر في الدم باستعمال شرائح عليها قطرات من دم المصاب توضع بداخل الجهاز.

٤ — الطبيب، أو خبير التغذية، في المستشفى يحدد للمصاب نوع الطعام وكميته، وعلى المريض التقيد بذلك، فالحمية عن الطعام عامل مهم في العلاج.

مضاعفات مرض السكري الحادة.. حيث يفقد المريض الوعي بصورة تدريجية ويدخل في سبات او غيبوبة، ويتراكم الاسيتون في الدم ويحدث الاحمضاض السكري، وقد تكون الغيبوبة مع الأسف هي المرة الاولى التي تظهر فيها اعراض المرض، لدى الشباب والاطفال.

ومن اسبابها الهامة ايضا عدم تنظيم العلاج عند المريض بشكل كاف، وذلك عندما لا يتناول الدواء او الانسولين بشكل كاف او بشكل غير منتظم. وبالطبع هناك اسباب اخرى كالانتانات الحادة (الالتهابات الجرثومية) وغيرها. ولكن المهم بالنسبة للمريض لتجنب حدوث هذه المضاعفات هو متابعة العلاج بشكل منتظم سواء كان الدواء عن طريق الفم او الانسولين وعدم ترك العلاج الا باستشارة الطبيب. ولابد من علاج الانتانات الحادة والالتهابات المختلفة بشكل جيد من قبل الطبيب ومراجعته عند حدوث

بوادر التغيم او اضطراب في الوعي بشكل عام. ومنها الانتانات الحادة في الصدر او الكلى او السل الرئوي. اما المزمنة فاهمها خمسة: **أولا** — تصلب الشرايين المبكر، ويؤدي الى ارتفاع الضغط الشرياني وخناق الصدر واحتشاء العضلة القلبية (الجلطة). كما تؤدي الى اضطراب في تروية الشرايين الكبيرة في الطرفين السفليين ثم الى ما يسمى بالغرغرينا، ومنها تصلب شرايين الدماغ ويؤدي الى ما يسمى بالفالج الشقي او الشلل النصفي. **ثانيا** — مضاعفات تشحم الكبد. **ثالثا** — اعتلال الكلى السكري واصابتها بالتهابات عدة. **رابعا**— مضاعفات في العينين كاعتلال شبكية العين والتهاب القزحية، واضطرابات في النظر او ربما فقدان البصر. **خامسا** — اعتلال الاعصاب المحيطي، من حرقان ونمنمة وتنميل في الاصابع الخ.

د. خيرت: يضاف الى هذا، المضاعفات التي قد تحدث للمرأة الحامل مثل: حدوث تشوهات للجنين او حدوث زيادة كبيرة في وزن الجنين مما يؤدي الى صعوبة الولادة، واحيانا تكون المضاعفات شديدة مثل: حدوث تسمم الحمل ووفاة الجنين، كذلك فان الالتهابات والقروح في قدمي المريض تعتبر من اكثر المضاعفات حدوثا في العالم كله.

د. الغامدي: اود الاشارة الى ان الغيبوبة قد تؤدي الى الشلل، وقد تحدث قبل البدء بالعلاج بالانسولين. كما هي الحال لدى الاطفال او حديثي الاصابة بالمرض، او تحدث خلال العلاج بالانسولين او الادوية الاخرى اذا لم يستمر المريض في تناول العلاج بانتظام او خالف النظام الموضوع لعلاجه من قبل الطبيب.

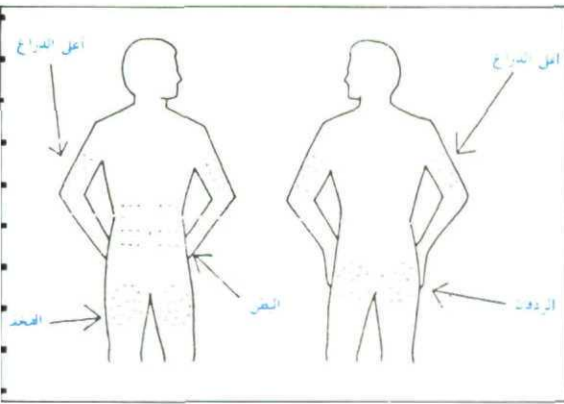
القافلة: هي يمكن ان يصاب المريض بالغيبوبة اثناء النوم؟

د. الغامدي: يمكن ذلك في حالة هبوط السكر وفي حالة ارتفاعه.

د. فراج: يمكن اذا اخذ حقنة كبيرة من الانسولين وكان الليل طويلا ولم يتناول طعاما لفترة طويلة كذلك.



كيف يحقن المريض نفسه بالانسولين.
أ/امسح الموضع الذي ستحقن فيه الانسولين بقطعة من القطن مبللة بمحلول مطهر.
ب/امسك الحقنة مثلما تمسك القلم. اقرص الجلد الى أعلى واغرز الأبرة في الجلد مباشرة.
ج/اترك الجلد الذي كنت ممسكا به في موضع الحقن. اضغط قطعة من القطن بجانب الابرة. ثم اسحب الابرة.
د/اضغط على موضع الحقن بقطعة القطن. لا تدلك موضع الحقن.



رسم يبين مواضع حقن الانسولين في الجسد من الامام ومن الخلف. ويستحسن تغيير الموضع في كل يوم لتجنب الالتهابات. اما اذا اراد المريض القيام ببعض التمارين الرياضية بعد الحقنة، فيفضل أخذ الحقنة في الذراع او البطن.

القافلة: هل كثرة اكل الحلويات تؤدي الى الاصابة بمرض السكري؟

الجواب بالاجماع: اكل الحلويات لا يؤدي الى الاصابة بالمرض اذا كان البنكرياس وسائر الغدد الاخرى تعمل بانتظام والجسم غير مهيء للاصابة بالمرض، لكن كثرة اكل الحلويات ربما تؤدي الى السمنة، والسمنة ربما تجعل الجسم مهيئا للاصابة بالمرض اكثر من الجسم ذي الوزن النموذجي.

القافلة: هل يمكن ان ينتقل المرض من مصاب الى صحيح كالعدوى؟

الجواب بالاجماع: المرض غير معد ولا ينتقل من المصابين الى الاصحاء

د. احمد: اود ان اضيف هنا الى ان المصابين بالسكري في اوائل العمر، يمكن لهم ان يعيشوا حياة عادية في الدراسة والعمل والزواج باتباع نظام خاص للعلاج والحمية. لذا يجب الا يحد المرض من تفاؤل المصابين الصغار والكبار، بالحياة السعيدة، والامل بمستقبل جيد بمشيئة الله ☐

تصوير: عبد الله دبيس

اللغة والنظرية التوليدية

بقلم: د. منذر عياشي / فرنسا

اتفق العلماء قديما وحديثا على أن اللغة «تكون نظاما من الرموز الصوتية، وتستخدم للتعبير عن أفكار، ومشاعر ذات طبيعة قابلة للانتقال» . كما اتفقوا أيضا على أن «فونيات اللغة تتكون من نظام متميز وخاص بكل لغة وأن الكلمات تتكون من متتالية من الفونيات» ، وهي «الصوائت».

نستطيع أن نقول بأن هذا هو الحد الأدنى من الاتفاق بين العلماء. ولكنهم اختلفوا اختلافا كبيرا في دراسة اللغة، كل بحسب اهتماماته: دينية وفلسفية، اجتماعية ونفسية، سياسية وانثروبولوجية. ونشأت عن هذا الاختلاف نظريات لسانية متعددة ومدارس لغوية كثيرة. وتنوعت تبعا لذلك مناهج البحث وطرق الدرس.

ونود في هذا المقال الموجز أن نقدم احدى هذه النظريات لما حازت عليه من الشهرة ولما لها من الأثر في ميدان الدراسات اللسانية خصوصا والدراسات الانسانية عموما. هذه النظرية هي نظرية القواعد التوليدية. ولا نبالغ اذا قلنا بأنها، كنظرية من أجل اللغة، تكاد تكون الوحيدة التي شدت العلماء اليها على اختلاف مشاربهم ومشاغلهم العلمية.

شومسكي والدراسات اللسانية

نشأ «شومسكي» ضمن تقاليد مدرسة بلومفيلد السلوكية. وقد تتلمذ على يد «موريس هال» الذي تأثر به وأخذ عنه كل مفاهيم المدرسة البنيوية. وكانت الدراسات اللسانية حينئذ تنقسم الى قسمين: مدرسي ووصفي. ولما ألف كتابه «البنى النحوية — Structures Syntaxiques .» في سنة ١٩٥٧، أحدث تغيرا جذريا في التفكير اللساني وقلب المفاهيم السائدة. ويعتبر هذا الكتاب بمثابة مرحلة أولى في تطور حياة «شومسكي» اللسانية. ثم ألحقه بعد ذلك بكتاب آخر وكان ذلك في الستينات سماه « Aspects de la Theorie Syntaxique » ويعتبر هذا الكتاب مرحلة ثانية من مراحل تطوره اذ أدخل فيه مفاهيم جديدة على الدرس اللغوي اضافة الى الأولى التي ضمّها كتابه الأول. ولقد انصب جهده في الكتابين على التنظير للغة واقامة منهج تدرس من خلاله. وتوالت بعد ذلك كتاباته الى يومنا هذا، وأصبح له مدرسة وتلاميذ في مختلف أنحاء العالم.

اننا لا نغالي اذا قلنا بأن نظرية القواعد التوليدية تعتبر من أهم ما عرفت اللسانية من تطور في العصر الحديث. ولكن من

أجل الانصاف يجب أن نقول بأنها، كنظرية، كانت معروفة عند أهل النظر وأصحاب علم الأصول من فلاسفة المسلمين وعلمائهم كالجاحظ في كتابيه «الحيوان» و «الرسائل»، والقاضي عبد الجبار في «المغني»، والرازي في «مفاتيح الغيب»، والغزالي في «المستصفى من علم الأصول»، وابن حزم في «احكام الأحكام». كما كانت لها بدايات تطبيقية عند بعض اللغويين كسيبويه والسكاكي وابن جني والجرجاني، وغيرهم.

مكونات النظرية التوليدية

يقول «شومسكي» في تعريف اللغة: «نسمي «لغة» من الآن فصاعدا كل مجموعة محدودة أو غير محدودة من الجمل. أما الجملة فذات طول محدود، وتتكون من مجموعة محدودة من العناصر».

ويقول في تعريف القواعد التي يقترحها من أجل تفسيريْ اللغات: «يجب على القواعد التوليدية أن تكون نظاما من القوانين التي تستطيع أن تتكرر بغية توليد عدد كبير من البِنَى».

فاذا أردنا بناء على هذين القولين — أن نعطي تعريفا موجزا عن هذه النظرية فيمكننا أن نقول بأنها تتكون من قواعد اللغة، أو هي قواعد اللغة نفسها والموجودة في أي لغة من اللغات الطبيعية.

أما اذا أردنا أن نعطي وصفا عنها فيمكننا القول بأنها تشكل نظاما، وأن هذا النظام يحتوي على مجموعة من القواعد، وان هذه القواعد تتصف بأنها محدودة في اللغات بعدد لا تتجاوزه، وأن هذه القواعد المحدودة تستطيع أن تولد عددا من الجمل لاحد له، أو غير نهائي.

موقف هذه النظرية من اللغة

ان اللغة أداة، وهي كأداة تعكس التفكير. وتنفي النظرية التوليدية أن تكون اللغة هي التفكير نفسه. واذا كانت اللغة كذلك فيمكن استخدامها في أغراض متعددة، منها:

- قد تستخدم في التوصيل والايصال، فتدخل في الحدث الاجتماعي أو تشارك في حدوثه.
- وقد تستخدم لأداء غرض فني فتدخل في ميدان أعلى من ميدان الكلام والتوصيل الذي هو من مستلزمات الحدث الاجتماعي اليومي.
- وقد تستخدم استخداما فرديا للتعبير عن الذات دون غرض الايصال.

وإذا كانت هذه النظرية تعدد استخدامات اللغة، فانها توكل الى الانسان وحده تعيين الهدف من استخدامها، فاللغة في هذا المعيار انسانية أبدا، سواء كان ذلك من حيث المنشأ أو من حيث التطور. ولقد ردت هذه النظرية شبهتين:

الشبهة الأولى

أراد بعض أتباع «الداروينية» أن يشيعوا فرضيات خاطئة حول أصل اللغة، فافترضوا بأنها من أصل حيواني، تماما كما افترضوا بأن الانسان من أصل حيواني. فردت هذه النظرية على هذه الشبهة، ونفت وجود أي مقاربة بين اللغة الانسانية والتعبير الحيواني. وقد أكدت بذلك على انسانية اللغة وتفرد الانسان بالكلام من بين سائر المخلوقات. وللشهرستاني لفتة جميلة بهذا الصدد اذ يقول: «النفس الناطقة هي الانسان من حيث الحقيقة».

وقد ردّ بها على الفكر اليوناني القائل: الانسان حيوان ناطق.

الشبهة الثانية

وأراد بعض أتباع نظرية «دوركهايم» في العقل الجمعي نفي أهمية الفرد في الحدث اللغوي عن طريق نفي أهميته في الحدث الاجتماعي، فردت النظرية التوليدية ادعاءاتهم وأكدت على دور الفرد في استعمال اللغة. وهي ترى، في هذا الخصوص، أن اللغة اذا كانت ملك المجتمع الذي نشأت فيه، فهي أيضا ملك الفرد الذي يستعملها استعمالا خاصا، ولا يستطيع أحد أن يمنعه من ذلك.

تعلم اللغة في هذه النظرية

ان اللغة في هذه النظرية تواضع واصطلاح. وهي بهذا الاعتبار تضرب صفحا عن كل الأفكار الميتافيزيقية التي تقال عن اللغة. الا أن النقطة الأساسية التي ركزت عليها تظهر في نفيها فكرة أن تكون اللغة التي يتكلمها الانسان فطرة فيه تلد بمولده. وقد حددت بموقفها هذا طريقة تعلم الطفل لغة مجتمعه وفسرتها على أن الطفل يتعلم لغة أبويه بطريقة آلية محضة، وذلك يختلف عن تعلمه لغة ثانية غير لغة المحيط الذي نشأ فيه. ولقد استخلص «شومسكي»، صاحب هذه النظرية، من تأملاته في هذه النقطة فكرتين أساسيتين وجوهريتين بالنسبة للدراسات اللسانية، أو بصورة أدق لما سماه بـ «النظرية اللسانية والتعلم — Theorie Linguistique et apprentissage».

الفكرة الاولى ويقرر فيها:

- أن تعلم اللغة الأولى أو لغة الأم يتم بطريقة آلية.
- أن الانسان لا يولد وفي فطرته لغة معينة.

* أن الاستعداد للتعلم بطريقة آلية هو الشيء الوحيد الموجود في فطرة الانسان.
* أن لا فضل للغة على لغة. وأن الطفل يستطيع أن يتعلم آليا أي لغة مادامت هي لغة المحيط الذي يعيش فيه.

أما، الفكرة الثانية فيقرر فيها:

* أن الطفل اذا كان يتعلم اللغة بطريقة آلية عن طريق الاستعدادات الفطرية الموجودة عنده، فانه يستخدم قواعد اللغة في بناء الجملة استخداما آليا أيضا.
* ويرى كذلك أن الحدس اللغوي يضبط كل نشاطات الطفل القاعدية في استعمال اللغة وفي تركيب الجملة.
* ويقرر أخيرا، أنه لا أثر للتفكير بتاتا في قواعد اللغة، أي أن الانسان، طفلا كان أو رجلا، لا يفكر في القواعد وهو يتكلم لغته الأصلية.

مكونات الجملة في هذه النظرية

بنى الجملة:

يقول شومسكي: «ان معرفة لغة من اللغات تستوجب القدرة على اعطاء مجموعة محددة من الجمل بنية فوقية وبنية تحتية. كما تستوجب أن تصل بين هاتين البنيتين بطريقة صحيحة، وأن نعطي للبنيتين الفوقية والتحتية المشتركتين معا تأويلا دلاليا وصوتيا».

يتبين لنا من هذا القول أن الجملة، في هذه النظرية، تتكون من بنيتين:

* بنية فوقية أو سطحية.
* بنية تحتية أو عميقة.

وظائف البنى

اذا كانت الجملة تحتوي على بنيتين، فان لكل بنية من البنيتين وظيفة محددة ومعينة. أما عن البنية الفوقية فيقول.. شومسكي «بأنها تحدد التأويل الصوتي كلية». وأما عن البنية التحتية فيقول بأنها «تعبر عن الوظائف القاعدية التي تضطلع بمهمة تحديد التأويل المعنوي» . ويقول أيضا عن القواعد التي تبنى على هذه الصورة أنها «تكون الخطوة الأولى نحو شرح الكيفية التي يستطيع الشخص بها أن يفهم أي جملة من جمل اللغة».

تقودنا مثل هذه الأقوال إلى شيئين

* الشيء الأول وهو أن البنية التحتية للجملة عبارة عن بنية دلالية.
* الشيء الثاني وهو أن البنية الفوقية للجملة على اعتبار أنها بنية صوتية، فانها تتكون من متوالية من الفونيمات، وأن هذه الفونيمات تنتظم في الجملة عن طريق نوعين من النظم: النظام الأول ويسمى بالمورفولوجي، وهو يرتب أو يوظف مجموع فونيمات «صوائت» الجملة في كلمات. والنوع الثاني من النظم ويسمى بالنحو، وهو يوظف الكلمات ضمن نوع محدد من العلاقات التي تترجم المعنى الموجود في البنية التحتية عن طريق قواعد خاصة تسمى بقواعد التحويل.

العمليات القاعدية في النظرية التوليدية

ان استخدام اللغة يعني بناء الجمل. ولن نجد انسانا يريد أن يعبر عن مقصوده عن طريق اللغة الا وهو يركب جملا. ولكن المتكلم حين يركب جملة يعتمد على مستويين لغويين:

المستوى الأول: وتسميه النظرية التوليدية «التمكن».

المستوى الثاني: وتسميه «الأداء».

أما التمكن فيعرّفه شومسكي بأنه «المعرفة الضمنية التي يملكها المتكلم — السامع عن لغته» . وأما الأداء فيعرّفه بأنه «الاستعمال الفعلي للغة ضمن حالات واقعية» . ويقول أيضا بأن «الأداء يعكس التمكن مباشرة».

واذا كان الناس يختلفون في مستوى الأداء فانهم يستوون غالبا في مستوى التمكن. وهذا يعني أن النظرية التوليدية «تحدد، انطلاقا من معطيات الاداء، النظام الضمني للقواعد التي تمكّن منها المتكلم — السامع والتي استخدمها في أدائه الفعلي».

وعلى هذا الأساس فان النظرية التوليدية تستخدم أربعة أشياء في كل عملية قاعدية:

* علم الدلالة لتحديد المعني الموجود في البنية التحتية للجملة.
* الفونومورفولوجية لتحديد الصورة السمعية لبنية الجملة الفوقية.
* قواعد التحويل للانتقال من البنية التحتية للجملة الى البنية الفوقية.
* وتستخدم، أخيرا، النحو لتحديد نظام الجملة □

حين يتجه الشعراء الى الله بقولهم : يا رب !

بقلم : الاستاذ محمد عبدالغني حسن / القاهرة

لاشك في ان الاتجاه الى الله – بعد التماس الوسائل، واتخاذ الوسائط – هو أقرب طريق الى راحة النفس، وابلاغ العذر، حين تضيق المسالك، وتحدق المهالك. ويستوي في ذلك أهل الأديان والحنفاء من الرجال، منذ أقدم العصور الى يومنا هذا. ولأمر ما نجد عند شاعر من شعراء الجاهلية – كامرىء القيس الكندي قوله الذي يدل على ايمان عميق.

«اللهُ» انجحُ ما طلبت بهِ　　　والبِرُّ خيرُ حقيبةِ الرَّحْلِ

ومن هنا نجد عند «المؤمن» الراسخ اليقين اعتقادا جازما بأن الدعاء يفرج ما ضاق من الأمور، ويفتح ما انسد من الوجوه. ولقد عبر عن ذلك شاعر من شعراء العصور الأولى للاسلام حين قال:

وانيِّ لأدعـو اللهَ والأمرُ ضيقٌ
عليَّ، فمـا ينفكُ ان يتفرَّجـا
وكـم مِنْ فتىً سُدَّتْ عليه وجوهُه
اصابَ لها في دعوةِ اللهِ مَخْرَجـا

«والدعاء» في أصل معناه اللغوي هو «النداء». ولعل أقرب نداء لله هو التعبير بقولنا: «يا الله» أو «يا رَبّ». فذلك هو النداء المباشر للذات الإلَهِيّة، من غير التجاء الى الصفات العديدة التي قد نضيفها الى حرف النداء: «يا». وذلك مثل قولنا: يا فاطر السموات، ويا مبدع الكائنات، ويا مفرِّج الكروب، ويا مُزيلَ الخطوب. أو مثل قول الاعرابية التي سمعها «الاصمعي» تقول في دعائها: «يا من ليس له ربٌ يُدْعى، ويا من ليس فوقه خالق يُخشى، ويا من ليس دونه اله يبقى، ويا من لا يزداد على كثرة السؤال الا كرما وجودا، وعلى كثرة الذنوب الا رحمة وعفوا...»

والحق ان الدعاء بقولنا: «يا ربّ» قد جاء في النثر كثيرا، لأن أكثر الناس ينثرون، فلا يلجأون الى الشعر بقيوده وضروراته حين يدعون... ولعل من الأدعية التي سجلتها كتب الأدب والأخبار والمحاضرات هذا الدعاء الذي دعاه شيخ اعرابي وقف عند باب الكعبة يقول: «يا ربّ! سائلك عند بابك، مضت ايامُه وبقيت آثامُه، وانقطعت شهوتُه، وبقيت تبعتُه، فارْضَ عنه يا ربِّ! وان لم ترضَ عنه فاعفُ عنه. فقد يعفو السيد عن عبده وهو عنه غير راضٍ...»

ومع كثرة ورود عبارة: «يا ربّ» في النثر ملحقة بحرف النداء: «يا»، فانها لم ترد في القرآن الكريم الا مجردة من حرف النداء. وتأتي كذلك في كتاب الله اما مضافة الى ياء المتكلم المثبتة او المحذوفة للتخفيف، او مضافة الى ضمير «نا» للمتكلمين... كالذي نجده في قوله تعالى: **«واذ قال ابراهيم ربِّ اجعل هذا بلدا**

آمنا» أو في قوله تعالى: «**ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم**».

على أن كثيرا من شعراء العرب — منذ الجاهلية الى زمان الناس هذا — لم يفتهم ان يتجهوا الى الله في شعرهم قائلين: «يا ربِّ» حين تفرض عليهم المناسبات ان يولوّا وجوههم شطر السماء لدعاء اللهِ السميع العليم.

وقد يكررُ الشاعرُ عبارة «يا ربِّ» في كل شطر أو كل بيت من قصيدته أو مقطوعته الدعائية. وللتكرار هنا حلاوة لا يتذوقها الا العارفون... على ان الشاعر قد يكرر العبارة تأكيدا لمعنى الدعوة. فلا يكتفي بقوله: يا ربِّ، بل يقول: يا ربِّ! يا ربِّ! كالذي صنعه «البطائحي» من شعراء العراق في القرن الخامس حين دعا الله ان يجعل «عباسا» اميرا على اقليم نهر «الغرّاف» بدلا من الوالي ابن حماد، فقال:

يا ربِّ! يا ربِّ! ارحــم الناسا
واجعَــلْ اميرَ الغــرّافِ «عباسا»

وتختلف المقامات التي يدعو فيها الشعراء ربهم بقولهم: يا ربِّ. ولكنها على كثرتها وتنوعها بين مواطِن الرغبةِ والرهبة — تتفق في «الجدِّية» و«الوقار» و«الخشوع» الذي ينظمها جميعا في سلك واحد، والذي يظللها بظل وارف من «الاحتشام» الذي يتحتم وجوده حين يتجه العبد الى ربه. وندر ان يدعو شاعر بقوله: «يا ربِّ» في مقام «الدعابة او المعابثة» الذي لا يليق بالشهود الإلَهي. ومن هذا القليل النادر ما ذكره «العماد الاصبهاني» صاحب «خريدة القصر» عن الشاعر العراقي: «الدباس البغدادي» حين روى له ابياتا قالها في الشيخ «كثير الوكيل» حين أدى فريضة الحج:

يـا ربِّ! بيتُـكَ بيتٌ فرضت للناس حَجَّه
وقــد اتــاك «كثيرٌ» فاسدُدْ عليــه المحجَّه

ويبدو أن «الشيخ الوكيل» هذا — من رجال القرن السادس الهجري — كان بارعا في استخراج (حجج) تملك البيوت وأعيان الارض لغير اصحابها.. وتخوف الشاعر من أن يُخرج «الشيخ الوكيل» البيت الحرام من يد الله، هو معابثة شعرية ثقيلة لا تليق بمقام الربوبية..

وأخف من تلك المداعبة الشعرية الممجوجة دعابة الشاعر العراقي الآخر: «ابن ابي الصقر الواسطي» حين قال لما كبرت سنّه، وعَشِيَ بصره، واضطر الى اتخاذ العصا:

اسوق نفسي بعصاً في يـدي
تبْصرُ قدَّامي، ولا خلْفـي

يا ربِّ! حتى الشيخُ في سَوْقِه
مخالفُ الـعـــادةِ والـعُـرْف

فالدعاء هنا «بياربِّ» مجافٍ للصواب، حتى ولو كان للتعجب والاستغراب..

على ان مقامات الغزل والتشبيب والنسيب هي من المقامات التي جعلها الشعراء الغَزِلون مجالا لدعائهم وقولهم: يا ربِّ! على الرغم من مجافاتها لأدب الدعاء. ولكن شعراء الحب — حين ضيّق عليهم الحرمان من المحبوب او دوام الصد منه آفاق عيشهم — لم يجدوا في غير الله سبيلا الى الدعاء. ومن هنا لم يجدوا في أنفسهم حرجا من ان يخلطوا بين نداء الله وبين دواعي حبهم... وقد وقع هذا لعدد غير قليل من شعراء العرب في القديم والحديث.

فنجد الشاعر «ابا تمام» يروي في «ديوان الحماسة» الذي ضرب فيه بسهم وافر في مجال الاختيار الشعري الفائق — مقطوعة غزلية لشاعر مجهول يقول فيها:

فيا ربِّ! ان أهلِكْ ولم تروَ هامتي
بليلى أمُتْ لا قبرَ اعطشُ من قَبري!
وانْ أكُ عن «ليلى» سلوتُ فانما
تسليتُ عن يأسٍ ولم أسْلُ عن صبرِ
وان يكُ عن «ليلى» غِنىً وتجلد
فربَّ غِنى نفسٍ قريبٍ من الفقرِ

على ان هذا ليس المثال الواحد أو الوحيد لشعر غزلي فيه دعاء الى الله برغبة الشاعر الملحة عليه، فهناك الشاعر «حفص بن عُليم» — من شعراء الحماسة ايضا — الذي يقول في مثل هذا المقام:

فيا ربِّ إن لم تَقْضِها لي فلا تَدعْ
«قذورَ» لهم، واقبض «قذورَ» كما هيا
وياليت أن اللهَ ان لــم الاقها
قضَى بين كلِّ اثنين ألاَّ تلاقيا

و«قذور» هو اسم محبوبة شاعرنا ابن عليم. وما اقساه وأشد انانيته حين يطلب لصاحبته الموت ان لم يقضها الله له.. وما أشد قسوته حين يتمنى لكل حبيبين الا يتلاقيا ما دام هو لم ينعم بنعمة اللقاء مع حبيبته...!

واذا كانت مواجع الحب هي من المواقف التي تلجىء الشعراء الى قولهم: يا رب، فلا شك ان مقاساة الغربة ومتاعبها هي من أكثر المواقف اقتضاء لهذا الدعاء. وقد دعت «الغربة»

شاعرا قديما من شعراء ما قبل القرن الخامس الى أن يقول:

غريبٌ يقاسي الهمَّ في أرض غربةٍ
فيا ربِّ! قرِّبْ دارَ كلِّ غريب

كما دعت صديقنا الشاعر المهجري الراحل «جورج صيدح» الى أن يقول بعد غربة طالت في العالم الجديد:

أيعود للوطنِ الغريبُ النائي!
يا ربِّ هَوِّنْها على الغُرباء

ولعل اكثر المواقف اقتضاء للدعاء «بيارب» هو موقف المرء حين تدنو منيته او تحضره الوفاة، فهو موقف لآخر عهد الانسان بالدنيا، وأول عهده بالآخرة. وقد شهد «معاوية بن ابي سفيان» هذا الموقف وعاناه بنفسه، فقال وهو يعالج سكرات الموت:

ان تناقِشْ يكُنْ نِقاشُكَ يا ربِّ
عذاباً لا طاقَ لي بالعذاب
او تجاوزْ فانتَ ربٌّ رحيمٌ
عن مسيء ذنوبُه كالتراب

وينسب الى الشاعر «ابي نواس» في مثل هذا المقام شعر وجدوه في رقعة تحت وسادته في بيته، يقول فيه:

يا ربِّ! ان عظُمَتْ ذنوبي كثرةً
فلقد علمتُ بانَّ عفوكَ اعظَمُ
ان كانَ لا يرجوكَ الا محسنٌ
فمَن الذي يدعو اليهِ المجرِمُ؟
ادعوكَ ربِّ كما امرتَ تضرُّعاً
فاذا رددت يدي فمن ذا يرحَم؟

ولقد روى الامام «يوسف بن عبد البر القرطبي» في «بهجة المجالس» شعرا للشاعر العباسي الكبير «محمود الوراق» قاله في مرضه الذي مات فيه، وفيه يقول:

ان ظني بحسنِ عفوك يا ربِّ
جميلٌ، وانت مالِكُ أمري
صنْتُ سِرِّي عن القرابةِ والأَهْـ
ـلِ جميعا، وانت موضع سري

على ان العصر العباسي لم ينفرد بدعاء الشعراء ساعة الاحتضار، فقد سبق لنا الاستشهاد بشعر «معاوية» في أوائل العصر الأموي، كما نستشهد هنا بشعر «ذي الرُّمة» في أواخر ذلك العصر حيث يقول:

يا رب قد اشرفَتْ نفسي، وقد علِمَتْ
علما يقينا لقد احصيتَ آثاري
يامخرج الروح من جسمي اذا احتضرت
وفارج الكرب زحْزِحني عن النار

ويحلو للشعراء حين يقولون: يا رب أن يقرُّوا له بذنوبهم، كما يقول «محمود الوراق»:

فيا ربِّ! قد احسنتَ بدءاً وعودةً
اليَّ فلم ينهض باحسانك الشكرُ
فمن كان ذا عذر لديكَ وحجةٍ
فعذريَ إقراري بأنْ ليسَ لي عُذْرُ

ويفضي الاقرار بالذنب — طبعا — الى طلب العفو والتماس المغفرة كما قال الشاعر «العنبري»:

يا رب! عفوك عن ذي نوبة وجلٍ
كأنه من حِذار النار مجنونُ
قد كان قدَّمَ اعمالا مقارفةً
ايامَ ليس له عقلٌ ولا دينُ..!

او كما قال الشاعر الآخر:

يا رب! قد حلف الاقوام واجتهدوا
أيْمانهم انّي من ساكني النّار
ايحلفون على عمياءَ ويحهمُو
جهلا بعفوِ عظيمِ العفوِ غفّار؟!

والتساؤل هنا جميل من ذلك الاعرابي المذنب الواثق في كرم الله.. الطامع في عفوه.. وقد يكون لبعض الشعراء مطالب يتوجهون بها الى الله حين يقولون. يا ربِّ، كالذي فعله الشاعر «ابو العتاهية» حين طلب من الله ان يهَبَ له الحلم والعزم على التقوى حيث يقول:

فيا ربِّ! هَبْ لي منك حلماً فانني
أرى الحلـمَ لم يندمْ عليه حليمُ
ويا ربِّ هبْ لي منك عزماً على التُّقى

فهرست المجلد الثاني والثلاثين
١٤٠٤هـ

اقيمُ به مـا عشتُ حيثُ اقيـمُ
الا ان تقوى الله اكـرمُ نسبةٍ
تسامى بهـا عند الفخَارِ كريمُ

أو كالذي صنعه صاحبنا «الوراق» حين قال:

يا رب كـــن لي وليـا
بالحفظ حتـى اطيعَكْ
فـان ذممتَ صنيعي
فقـد حَمِدتُ صنيعَـكْ

أو كالذي كان يدعو به «الحسن البصري» وهو يحدو في الطريق الى بيت الله الحرام:

يا فالقَ الإصباح انتَ ربي
وانت مولاي وانت حَسْبي
فأصلحَنَّ باليقين قلبي
ونجِّني من كَرْبِ يومِ الكَرْبِ..

او كالذي كان يدعو به الشاعر «ابن ابي الصقر الواسطي» من ألاّ يطيل الله عمره حتى يهرم فلا يستطيع ان يقوم الا بمعونة احد. وذلك حين قال:

يا رب ؟ لا تُحْيِني الى زمن
اكون فيه كلاًّ على احَـدِ
خذ بيدي، قبل أن اقولَ لمن
القاه عند القيام: خُذْ بيَدي

أو كالذي فعله الشاعر المهجري «زكي قنصل» حين طلب من الله ان يهديه قائلا:

يا رب انت سراجي في الحياة فان
لم تهدِ عبدَكَ قل لي مَن سيَهْديه؟

وقد يتجه الشاعر الى الله بقوله: يا ربِّ، لا ابتغاء لمطلب، ولكن عرضا لشكوى حال، كمثل ما قاله «ابو العتاهية» شاكيا ظلم الناس وبغيهم ولؤم طباعهم ونكرانهم للجميل:

ايا ربِّ! ان الناسَ لا ينصفونني
وان انا لم انصفهُم ظلموني
وان كان لي شيءٌ تصدوا لأخذه
وان جئت ابغي شيئَهم منعوني
وان نالهم بذلي فلا شكر عندهم
وان انا لم ابذل لهم شتموني
وان طرقتني نكبة فرحوا بها
وان صحبتني نعمة حسدوني

وحين نستعرض ديوان الشعر العربي الحديث نجد ان عددا غير قليل من شعرائنا اكثروا من الاتجاه الى الله في شعرهم، ودار الدعاء «بيا ربِّ» في دواوينهم مرات ومرات. كالذي نجده في شعر أحمد شوقي، وحافظ ابراهيم، وعباس العقاد و محمد بهجة الاثري، واسماعيل صبري. وان كان هذا الأخير قد فاقهم جميعا في رائيته الصوفية الجميلة التي يقول فيها:

يا رب! اين تُرى تُقامُ جهنم
لـلظالمين غدا وللفجَّـارِ؟!
لم يُبْقِ عفوُكَ في السموات العلا
والأرضِ شبراً واحداً للنارِ
يا رب! اهّلني لفضلكَ، واكفني
شطط العقول، وفتنة الافكارِ
ومُرِ الوجودَ يشف عنك لكيْ ارى
غَضْبَ اللطيف، ورحمة الجبارِ
يا عالم الاسرار! حسبي محنةً
علمي بأنكَ عالمُ الاسرارِ
أَخْلِقْ برحمتِكَ التي تسَعُ الورَى
الاّ تضيقَ بأعظمِ الاوزارِ

ولكن هذا لا ينسينا ان نقرر ان «احمد شوقي» كان اكثر شعراء العصر الحاضر توجها الى الله بقوله: يا ربِّ! في همزيته عن كبار الحوادث، وفي نكبة بيروت على يد الطليان سنة ١٩١٢، وفي قصيدته الى «غليوم» امبراطور المانيا، وفي قصيدته: «الى عرفات الله» وفي قصائد أخرى كثيرة.. ويستوي الشاعر حين يقول في دعائه: يا ربِّ، أو يا الهي، او اللهمّ، او يا اللهمَّ... كما قال الشاعر القديم:

وإنني إنْ حدثٌ المَّا اقولُ. يا اللّهُمَّ! يا اللّهُمَّ

او كما قال الشاعر المهجري «زكي قنصل» داعيا لخصومه بالخير:

يا إلَهي! غَسَلْتَ قلبي من البَغْـ
ضاءِ فاغسِلْ قلوبهم مِنْ وباء □

جولـة القافلة في بلاد

بني سعد.. وبلحارث .. وثقيف

بلاد الطبيعة الخلابة

يوسف خالد أبو بشيت / هيئة التحرير

حباالله منطقة الطائف موقعا جميلا، ومناخا طيبا، ومياها عذبة وفيرة، وارضا خصبة ينبت فيها الكثير من أنواع الفاكهة والخضراوات والحبوب، وقد جعلت الطبيعة الخلابة منها مصيفا يرقى إلى مستوى المصايف المعروفة. وهي تعد أرض خير وعطاء منذ العصر الجاهلي وصدر الاسلام وحتى يومنا هذا. ويجد المصطاف في جبالها الشاهقة التي تكسوها الخضرة اليانعة وأوديتها المتعددة، ما يروح عن نفسه من تعب الحياة اليومية. ويطالع الزائر بين تلك الغابات الخضر المنتشرة على سفوح الجبال وفي بطون الأودية، بقايا حصون وقلاع، تحكي في صمت، الأحداث التاريخية التي مرت بهذه المناطق، والأمم التي تعاقبت عليها.

وفي الجانب الجنوبي الشرقي من مدينة الطائف، موضوع استطلاعنا في هذا العدد، مناطق اودع الله، سبحانه وتعالى، فيها جمال الطبيعة وعذوبة الماء، فاصبحت منتجعا للراحة والاستجمام ... تلك هي بلاد بني سعد وبلحارث، وثقيف، وبني مالك، التي وصلتها بعثة «القافلة» بعد أن هيأ لها مشكورا سعادة امير الطائف الشيخ صالح السالم، كافة التسهيلات الكفيلة بتحقيق مهمتها، حيث رافقنا في جولتنا السيد هلال ابراهيم الحارثي، العارف بمسالك المنطقة وطرقها.



الاستاذ صالح العبد العزيز السالم امير منطقة الطائف.

المناخ والموقع

تتمتع مناطق بني سعد وبلحارث وثقيف وبني مالك بصيف معتدل يميل الى البرودة قليلا اثناء الليل، وبشتاء بارد لكونها تقع على جبال مرتفعة. وتهطل الامطار عليها طوال فصول السنة تقريبا، وخاصة خلال فصل الشتاء.

تقع جميع تلك المناطق في السراة الجنوبية الشرقية والجنوبية لمدينة الطائف. وبلاد بني سعد يحدها وادي ليه من الشمال، ومنطقة بلحارث البادية من الشرق، ومنطقة

...يف.. وبني مالك
والأرض المعطاء


الطبيعة الخلابة تتمثل في الجبال الشاهقة وهي مناظر مألوفة في منطقة ميسان/بلحارث.

فهم من الغرب، ومنطقة بلحارث الحجاز من الجنوب. اما قبائل بلحارث فتنقسم الى قسمين، قسم منها يقطن في منطقة ميسان والمعروفة ببلاد بلحارث الحجاز، ويحدها من الشمال منطقة شقصان وبلاد بلحارث البادية، ومن الجنوب ثقيف، ومن الشرق حداد/بني مالك وتربة، ومن الغرب بلاد بني سعد. اما القسم الآخر من قبائل بلحارث فيسكن في منطقة قيا، ويحدها من الشمال منطقة الباضة، ومن الجنوب منطقة الصور التابعة لميسان، ومن الشرق منطقة ابو راكة، ومن الغرب ريع النجد ومنطقة الجعدة. وتقع قبائل ثقيف، وهي المعروفة بثقيف اليمن، بين بلحارث البادية شمالا وقبائل بني ذبيان جنوبا، وبين بني مالك شرقا وقبائل بلحارث الحجاز ومتعان غربا. أما قبائل بني مالك فتنقسم الى منطقتين هما حداد والقريع حيث يوجد في كل منهما مركز امارة مستقل بذاته، ويحدها من الشمال قبائل ثقيف وقبائل بلحارث، ومن الجنوب برحرح زهران، ومن الشرق قبائل بلحارث، ومن الغرب وادي مهور وتمتد الى تهامة. ومعظم هذه المناطق تقع في بطون اودية تضيق وتتسع من مكان الى اخر، ويتراوح طول الواحد منها ما بين ١٢ و ١٥ كيلو مترا وعرضها ما بين ٤ و ١٠ كيلو مترات تقريبا. اما المناطق الاخرى فتقع على سفوح واعالي الجبال الكثيرة.

القبائل

تضم هذه المناطق التي كانت ملتقى لكثير من القبائل العربية القديمة، وتعتبر اليوم من المناطق الجميلة ذات الخضرة والطبيعة الخلابة. قبائل عربية ابت الا ان تسير على نهج اسلافها في حب واكرام الضيف، وقبل ان نستعرض قبائل المناطق التي زارتها «القافلة»،

لابد وان نشير الى ان هذه القبائل منتشرة في الحجاز ونجد واماكن اخرى من المملكة، ولا يمكن حصرها جميعا في هذه المقالة. وقد اكتفينا بذكر القبائل التي ترجع لامارات مناطق: السحن، ميسان، قيا، تقيف ترعة، حداد، والقريع.

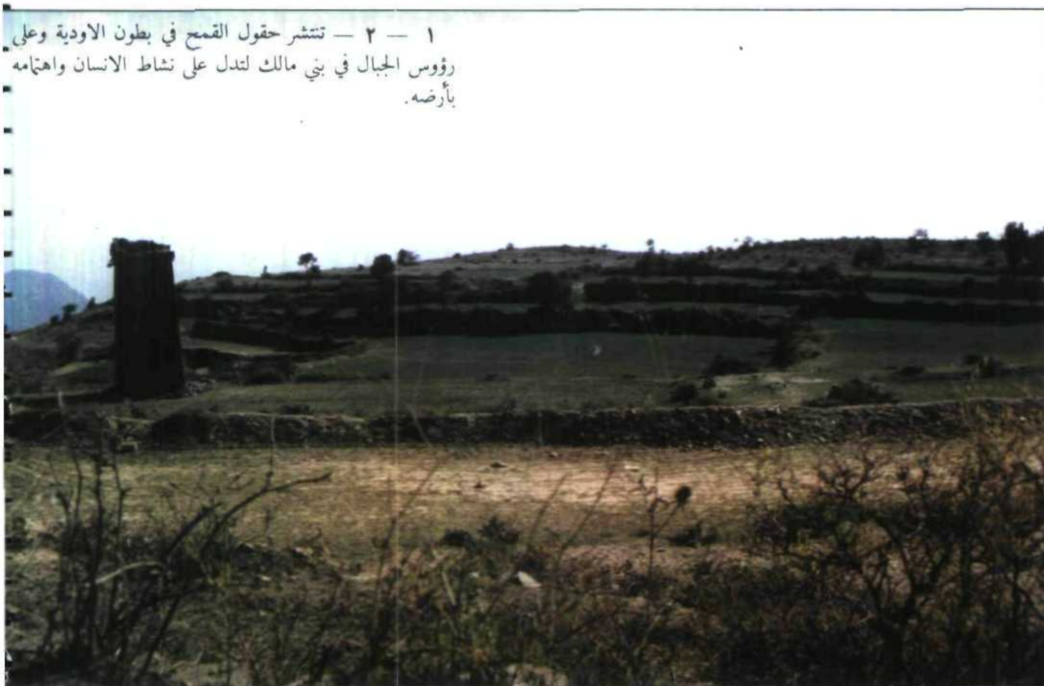
قبائل بني سعد

يرجع نسب هذه القبائل الى قبيلة «عتيبة» وهي من اشهر القبائل في الجزيرة العربية ومن اكثرها بطونا وافخاذا، تمتد مساكنها من سروات الطائف الجنوبية الى سنام وام سريحة ومصدة والغطغط في كبد نجد.. وينتمي كثير من قبائل عتيبة في الاصل الى بني سعد، وبنو سعد كما هو معروف بطن من بطون هوازن، ولا زالوا يعرفون بهذا الاسم حتى الان . [1] وفي منطقة السحن، يوجد من بني سعد قبيلتان هما الثبتة والبطنين، وتنقسم كل واحدة الى قسمين رئيسيين، فالثبتة تنقسم الى اللصة والصريرات، والبطنين تنقسم الى النفعة والطفحة. وكل قسم من تلك الاقسام الاربعة يتفرع الى عدة فروع.

قبائل بلحارث

وهي قبائل تنتشر في اودية بوا، وميسان، وقسط، والاطاط، والصور، واللصب، والصخرة وابو راكة وغيرها. وتتكون هذه القبائل من ثلاثة اقسام رئيسية هي: بنو اوس (بنيوس)، والشلاوي، وناصرة. وكل قسم من هذه الاقسام يتفرع الى عدة فروع، والفروع تنقسم الى عدة بطون كثيرة، كقبائل: حسينة، والشعيث، والحنشة، والموسى، والشدادين، والشباعة، والشواحطة، والعضاوين، وغيرهم. وقد اختلف بعض المؤرخين والباحثين في نسب هذه القبائل، فمنهم من ينسبها الى زهران، ومنهم من يرجعها الى الازد، ومنهم من يقول ان بلحارث خليط من بلحارث وبني مالك. «وليس من المغالاة في القول الجزم بان هذه القبيلة ازدية، دخلتها فروع عدنانية، اذ من اشهر فروعها ناصرة... ومنزل بلحارث من السراة هو ما يعرف قديما بسراة عدوان بين سراة الطائف وسراة الازد (زهران) جنوبا وشمالا وسراة بجيلة غربا [2].»

وفي هذا الصدد يحدثنا الشيخ زايد بن احمد بن محمد الحارثي، قاضي محكمة بني مالك، فيقول: «تعرف قبائل بلحارث بالازد قديما... وكانت الأزد في بني مالك وغامد وبني شهر. وعندما وفدت وفود القبائل المذكورة على النبي، صلى الله عليه وسلم، كان من بينهم وفد بلحارث، وهم الأزد، يرأسهم سويد بن حارثة. فلما كانوا بين يدي الرسول الكريم، صلى الله عليه وسلم، قال: ما القوم؟ قال رئيسهم سويد: مؤمنون. قال عليه الصلاة والسلام: ان لكل قول حقيقة، فما حقيقة ايمانكم؟ قال سويد: خمس عشرة خصلة، عشر منها امرتنا رسلك ان نؤمن بها يعني «اركان الايمان واركان الاسلام»، وخمس تخلقنا بها في جاهليتنا الى هذا حدنا، يا ان تقرنا عليها، ام تنهانا عنها وننتهي. قال، صلى الله عليه وسلم: ما هي الخمس؟ قال سويد: الثباتة في موطن اللقاء، وترك الشماتة بالاعداء، والصبر على البلاء، والرضى بمر القضاء، والشكر عند الرخاء. قال عليه الصلاة والسلام: يا لها من خمس، وانا ازيدكم خمسا، فتعودون من عندي بعشرين: لاتجمعوا مالا تأكلون، ولا تبنوا مالا تسكنون، ولا تتنافسوا في شيء انتم عنه غدا راحلون، واتقوا الله الذي اليه ترجعون، وارغبوا فيما عليه تقدمون يوم القيامة. وعندما ذهب القوم، قال النبي عليه الصلاة والسلام: فقهاء، حكماء، كادوا من فقههم أن يكونوا انبياء».



١ — ٢ — تنتشر حقول القمح في بطون الاودية وعلى رؤوس الجبال في بني مالك لتدل على نشاط الانسان واهتمامه بأرضه.

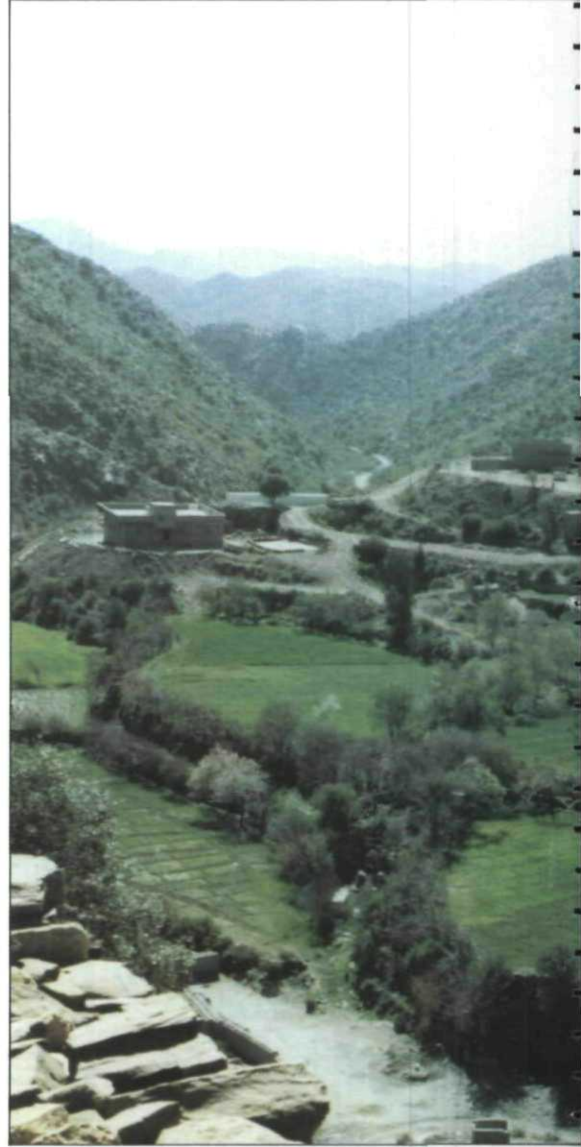
قبيلة ثقيف

احتلت منطقة الطائف في الجاهلية وصدر الاسلام مركزا سياسيا واقتصاديا مهما، مما جعلها مطمعا لقبائل كثيرة تعاقبت على حكمها، الا ان قبيلة ثقيف استطاعت ان تستقل بها وتحتفظ لنفسها بالسيادة على الارض.

«واما قصة انفراد قبيلة ثقيف بالطائف، فهي ان قسي (ثقيف) بن منبه نزل على عامر بن الظرف العدواني، وهو من حكام العرب، وحالفه وتزوج من ابنته وسكن «وج» وزرع فيها الكروم فنجحت زراعتها، وسكن اولاده المدينة. وكانت عدوان مالكة لها، فتصاهر اولاد ثقيف مع بني صعصعة بن معاوية بن بكر ابن هوازن وسكنوا حول الطائف وفي داخلها. ونتيجة للظروف القبلية السائدة آنذاك، تشاحنوا مع بني عدوان وأدى ذلك الى قيام حروب بينهما، تفرقت على اثرها جماعة عدوان وشتت امرهم [٣]».

وقد اختلف النسابون في نسب قبيلة ثقيف، الا ان اكثرهم يرجح ان هذه القبيلة «تنتمي الى قسي بن منبه بن بكر بن هوازن، اشتهر بثقيف فعرف ولده من بعده بلقبه هذا حتى اصبح اسم علم على القبيلة، وقد تفرعت هذه القبيلة الى بطون وافخاذ كثيرة في العصور الاولى من الاسلام، تغيرت في وقتنا الحاضر جميع اسماء تلك البطون والافخاذ باسماء اخرى احدث منها عهدا، الا ان القبيلة بقيت محتفظة بالاسم الرأس — ثقيف — حتى وقتنا الحاضر، وهي اليوم تنقسم الى تسعة بطون.» [٤]

ولعل الذي يهمنا في هذا المقام ما يطلق عليه اهل الطائف قبائل ثقيف اليمن، المنتشرة حاليا في السراة الجنوبية للطائف في منطقة ثقيف ترعة، وهي قبائل: بنو يوسف، بنو جاهل، آل يعلى، آل محمد، الندبة (الدارين)، المجاردة، البردة والشرمان، وهما عبارة عن قبيلة واحدة ترجعان في الاصل الى قبائل بني ذبيان، وتتفرع كل قبيلة من هذه القبائل الى فروع كثيرة، وهي جميعها تتبع امارة ثقيف ترعة. ونود ان نشير الى تعريف جغرافي لقبيلة ثقيف، وهو ان من سكن الطائف والهدا من هذه القبيلة سمي بثقيف الشام، ومن سكن الجنوب سمي بثقيف اليمن وقد يعود اطلاق اسم «ثقيف اليمن» حسب اتجاهها.



قبيلة بني مالك

كانت قبيلة بني مالك تعرف في الماضي بقبيلة بجيلة، التي تعتبر من اقدم القبائل التي سكنت السراة الجنوبية للطائف. اما اليوم فان قبيلة بني مالك تنقسم الى خمسة اقسام رئيسية، هي: قبيلتا بالنعيم وبني عمرو، وتقطنان في



ترعة ثقيف من المناطق الزراعية في منطقة الطائف المشهورة بزراعة اللوز البجلي.





مرتفعات جبال السراة بعد منطقة ثقيف، وتتبعان لامارة حداد بني مالك. وقبيلتا بني علي وبني حرب ويسكن الجزء الاكبر منهما في مرتفعات جبال السراة. ويسكن الجزء الباقي في سهول تهامة، وهما تتبعان لامارة القريع بني مالك. اما القسم الخامس فهو قبائل بني هلال وتقطن جميعها في تهامة. وتتفرع عن تلك الاقسام والبطون الخمسة فروع كثيرة منها: بنو دهيس، بنو عبد الله، بنو احمد، ابا الحليس، الوهبة، المطاع، بنو عاصم، بنو محشر، المشايخ، بنو جندب، بنو محمد، العصمان، وغيرهم.





الحياة اليومية للسكان

على الرغم من ان كل قبيلة من قبائل بني سعد وبلحارث وثقيف وبني مالك تعيش في منطقة خاصة بها، فان تلك المناطق تعتبر جغرافيا منطقة واحدة من حيث طبيعة الارض والمناخ، والعادات والتقاليد، والأعمال اليومية التي يمارسها سكانها والتي تتمثل في حبهم للارض والتصاقهم بها، واكرام وفادة الضيف وحسن استقباله. وهذا ليس بغريب على احفاد من حسن اسلامهم من رجال الطائف، وذادوا عن راية التوحيد، امثال: «جبير بن حية بن مسعود الثقفي، عبد ياليل بن عمرو بن عمير الثقفي، واسيد بن جارية، والسائب بن الاقرع ابن عوف بن جابر، وسفيان بن عبد الله ابن ابي ربيعة الثقفي، والمغيرة بن شعبة ابن ابي عامر ابن مسعود بن معتب الثقفي الملقب بالامير الداهية في صدر الاسلام.» [٥]، وغيرهم.

ويعتمد رجال قبائل بني سعد وبلحارث وثقيف وبني مالك، في حياتهم اليومية على الزراعة والرعي والتجارة والوظائف الحكومية.

الزراعة

منّ الله على سكان بني سعد وبلحارث وثقيف وبني مالك بارض خصبة ومياه امطار غزيرة، ومناخ معتدل ساعد على نمو انواع عديدة من الفواكه والخضراوات والحبوب. فغدت المنطقة بقعة خضراء، اضفت عليها اشجار العرعر والعتم والطلح، المنتشرة في اعالي الجبال وسفوحها جمالا وبهاء.

وتتم الزراعة في تلك المناطق باعداد اماكن خاصة، في سفوح الجبال، يدعى الواحد منها ركيب، وهي على شكل مدرجات تنحدر الى بطون الاودية. وتعتمد المزروعات في سقايتها، بشكل رئيسي، على مياه الامطار وبعض الابار الارتوازية في حال عدم هطول امطار بكميات كافية. وتكثر في هذه المناطق زراعة الفاكهة: العنب، والرمان، والتين والتين الشوكي، والخوخ، والمشمش وغيرها. وهي تزرع في الفترة الممتدة من منتصف يناير حتى نهاية شهر فبراير. كما تكثر فيها زراعة الخضراوات ومن بينها: الطماطم، والخس، والخيار، والملفوف، والكوسا، وهي تزرع على فترتين: صيفية، وتمتد من شهر فبراير حتى

شهر مايو، وشتوية وتمتد من شهر يوليه حتى شهر نوفمبر. كذلك تشتهر تلك المناطق بزراعة اللوز البجلي، الذي يزرع بكميات كبيرة جدا. اما الحبوب فاهمها: الذرة، والقمح، والشعير، والسمسم، والعدس، وتزرع في الفترة الممتدة من شهر نوفمبر حتى شهر ديسمبر. وقد بلغ انتاج منطقة الطائف مجتمعة من القمح في الموسم الماضي حوالي ١٧٠٠ طن، جنيت من مساحة تقدر بنحو ٥٥٠٠ دونم.

ومن جانب آخر، تقوم وزارة الزراعة والمياه في منطقة الطائف بدور حيوي وبارز في ايلاء القطاع الزراعي الرعاية والاهتمام وارشاد المزارعين وتعريفهم بالسبل والطرق الحديثة المتبعة في استصلاح الارض وزيادة محصولها الزراعي. وانطلاقا من هذه المسؤوليات تقوم الوزارة بانشاء حقول ارشادية. فقد أنشأت نحو ١٣ حقلا في منطقة بني مالك وحدها، وذلك لاتاحة الفرصة للمزارعين للوقوف على طرق الزراعة الحديثة، فضلا عن تقديم خدمات عدة في مختلف المجالات كالارشاد والوقاية والبيطرة، واقامة الندوات التثقيفية.

ونظرا لما تتمتع به تلك المناطق من غطاء نباتي كثيف — قدرته دراسة وزارة الزراعة والمياه بنحو ١٠٠ الف دونم من الغابات — وازهار برية متعددة الاشكال والالوان، واشجار اللوز، اهتم المزارعون هناك بانشاء مناحل صغيرة لتربية النحل، وجني العسل الصافي، وفي هذا المجال قدمت وزارة الزراعة والمياه نحو ٤٠٠ خلية باسعار رمزية للمزارعين.

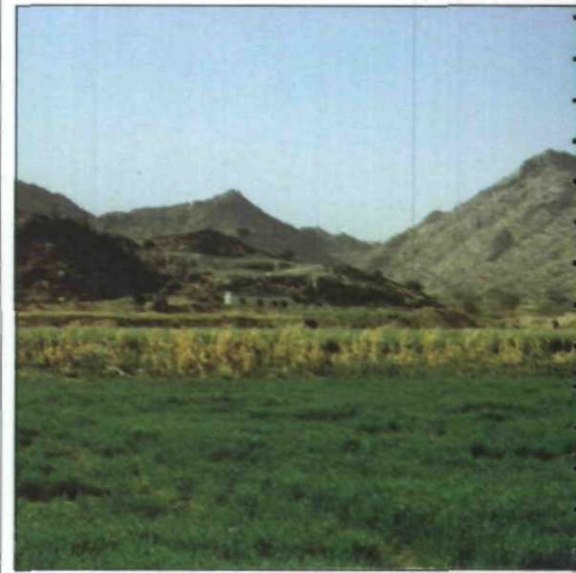
وفي هذا الصدد يحدثنا السيد محمد عبد الجبار المالكي، مدير فرع وزارة الزراعة والمياه في بني مالك فيقول «تعتزم الوزارة اقامة منحل نموذجي في هذه المنطقة، وهو في دور التأسيس الآن، وستكون طاقته المبدئية ١٠٠ خلية. وسيكون هذا المنحل عبارة عن مركز لتدريب مربي النحل على استخدام طرق التربية الحديثة للنحل لترشيدهم الى استخدام العسل كمادة غذائية اساسية» كما توجد مناحل متفرقة في مناطق استطلاعنا هذا، كالمنحل التابع للشيخ احمد اليامي في منطقة بلحارث.

ان مساعدات وزارة الزراعة والمياه لا تقتصر على تلك المجالات فقط، بل تقدم مساعدات مالية على فسائل النخيل المزروعة حديثا بنحو خمسين ريالا للفسيلة الواحدة، واعانات التمور المنتجة التي بلغت في الموسم الماضي اكثر من خمسة ملايين ريال، اضافة الى الاعانات التي يقدمها البنك الزراعي، لحفر الآبار وشراء المكائن والآلات الزراعية، كالحاصدات والمحاريث والرشاشات المحورية وخلافه. كما تشتري الوزارة الحبوب من المزارعين باسعار مشجعة للغاية.

ويوجد للوزارة قسم خاص في منطقة بني مالك مهمته المحافظة على اشجار الغابات ووقايتها من العواصف والرياح الشديدة، وتعتزم الوزارة اقامة مشتل للغابات مساحته ٢٠ دونما، وذلك لزيادة الغطاء النباتي في الغابات وتجربة زراعة اشجار غابات جديدة في المنطقة.

ولأهمية دور السدود في المناطق، التي تهطل عليها الامطار بكميات كبيرة، للمحافظة على المياه وتنظيم طرق ري المزروعات بها، قامت وزارة الزراعة والمياه بانشاء السدود في مختلف منطقة الطائف. وفي هذا الشأن حدثنا الاستاذ محمود على خفاجي، مساعد مدير عام فرع وزارة الزراعة والمياه بالطائف، فقال: «تم في الآونة الاخيرة ترسية سدود جديدة قوامها احد عشر سدا، منها سد غريف جدارة في بني سعد، وسدود وادي المريفق والنوافلة والعطاء وداما في منطقة بلحارث».

وتبعا لذلك، اقدم سكان تلك المناطق على اقامة مزارع لتربية الدواجن كمزرعة عواض ضيف الله الخديدي في بني سعد، وتنتج نحو ١٢ الف دجاجة لاحمة في الشهر. ويوجد في منطقة الطائف مجتمعة نحو ٢٦ مشروعا للدجاج اللاحم، وقرابة ٢٥ مشروعا لانتاج البيض.





١ — أحد المباني الحديثة التي تعكس التطور العمراني في منطقة بلحارث.

٢ — ٣ — حقل ارشادي تابع لوزارة الزراعة والمياه التي تسعى الى تحسين وسائل الزراعة ورفع مستوى انتاجها في المنطقة.

٤ — جانب من مزارع الخضراوات والبساتين وحقول القمح تنتشر في منطقة قيا/بلحارث.

٥ — اشجار اللوز والفواكه تحيط بحقول الحبوب والخضراوات في منطقة القريع/بني مالك.

الجبال والأودية

اشتهرت الطائف وما حولها، منذ القدم، بجمال جبالها التي تكسوها الاشجار الحرجية الكثيفة، وبأوديتها التي تحتضن المزارع والبساتين والمياه العذبة والمناظر الطبيعية الخلابة. ومن اشهر هذه الأودية، وادي وج ووادي العرج،ووادي لية. وقد اشتهر وادي لية بالاضافة الى خيرات ارضه، بعدد من الحيوانات المفترسة. «وكان هذا الوادي قديما مشهورا بالحيوانات واشهرها الاسد، فكان يقال اسد لية. وقد سكن هذا الوادي بنو نصر من هوازن وفيه يكثر الرمان والعنب اللذيذ الطعم، وفيه يكثر شجر العرعر والعفص [٦]». وقد مرت بعثة «القافلة» بهذا الوادي، متجهة نحو بلاد بني سعد وبلحارث وثقيف وبني مالك، والتي تضم كذلك عددا من الجبال الشاهقة تكسوها الاشجار الحرشية كالعرعر، والعتم (الزيتون). والطلح، والصوم، والشث، والطباق، والعبل، وغير ذلك. وهناك اشجار الضرم، والشيح، والسذاب التي تستخدم علاجا لبعض الامراض. ومن اشهر جبال تلك المناطق «الطبقة». في بني سعد، وهو جبل عال. و «الحدب» يقع بين بني سعد وبلحارث ويبلغ طوله ٢٥ كيلو مترا تقريبا، ويرتفع عن سطح البحر حوالي ٣٠٠٠ قدم، و «الغلة» و «عرجان» و «اعذب» من جبال منطقة بلحارث ويكثر فيها شجر العتم والصوم والنيم والطباق. كما ان هناك جبل ميسان الغربي، الذي يسيل على وادي سلبة المشهور في صدر الاسلام، بوفرة العسل والابل والماشية . «ويروى عن عمر بن شعيب عن ابيه عن جده عن النبي، صلى الله عليه وسلم، انه جاء احد بني متعان الى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، «بعشور» نحل له وكان سأله ان يحمي واديا يقال له سلبه، فحمى له ذلك الوادي. ولما ولي عمر ابن الخطاب، كتب سفيان بن وهب الى عمر يسأله عن ذلك، فكتب عمر ان أدى اليك ما كان يؤدى الى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، من عشور نحله فاحم له سلبة والا فانما هو غيث يأكله من يشاء (٨)». رواه ابو داود والنسائي. وهذا دليل على ان تلك المناطق كانت ارض خير وعطاء تؤتي اكلها كل حين باذن ربها.



وتتميز منطقة بني مالك بطبيعة خلابة وارض مرتفعة وجبال شاهقة، وفيها يقع جبل «بثرة»، الذي يدعى كذلك «جبل ابراهيم»، ويقال ان سيدنا ابراهيم، عليه السلام، قد جاء الى هذا الجبل، وهو جبل عظيم يحتوى على مغارات متعددة واشجار كثيفة. كما ان هناك جبالا اخرى مثل: «سيلان»، و «الاشرق»، و «الشعيرة»، الذي يعتبر فاصلا بين امارتي القريع وحداد في بني مالك.

اما اودية مناطق بني سعد وبلحارث وثقيف وبني مالك، فهي روعة في الجمال ابدعتها يد البارى عز وجل، ومهدتها ونسقتها ايدي مزارعي المنطقة، فغدت رياضا تسر الناظرين. تترعرع في سفوحها وبطونها اشجار اللوز البجلي الذي تشتهر به تلك المناطق، واشجار الليمون والخوخ والمشمش والعنب ومختلف الخضراوات. ومن الأودية المشهورة في تلك المناطق، وادي «جدارة» وتقطنه قبيلة من الثبتة من بني سعد، والتي ذكرها الموسوي في القرن الثاني عشر فقال: «ثم اتينا جدارة وهي قرية محاسنها اصيلة لا مستعارة اشجارها مثمرة، وبدور محاسنها سفرة، وهزارها على الورود يغرد، وشحرورها فوق الاغصان يردد، والبلابل هيجت الاشواق، وعيون ازهارها لوجه الوافدين شاخصة، ومياه آبارها مصفقة وراقصة [٧]». واودية الدار الحمراء، والسحن، وفليحة ولغب، والصريرات، والشوحطة التي تسكنه قبيلة الذويبات من بني سعد ومنهم حليمة السعدية مرضعة الرسول،عليه الصلاة والسلام. ويربو عدد اودية منطقة بني سعد على خمسة عشر واديا. اما منطقة بلحارث فتضم اودية متعددة، اهمها: ميسان، الصور، قيا، ضراء، ابو راكة، اللصب والصخرة. ويتخلل منطقة ثقيف عدد من الاودية، اهمها واكبرها وادي ثقيف ترعة، الذي يبلغ طوله حوالي ١٢ كيلو مترا، وعرضه يتراوح بين ٤ و ٧ كيلو مترات، وتحف به الجبال الشاهقة.

اما منطقة بني مالك، فتضم عددا من الاودية من ابرزها: «بوا» ومياهه تجري طول العام تقريبا، و «تربة» ويمتد من الخرمة شرقا الى ان يصل بني مالك، و «عردة»، و «شوقب»، و «السايلة»، و «العشرق»، و «مهور».

وتقوم وزارة المواصلات بتنفيذ عدد من الانفاق والجسور والطرق الرئيسية، التي ستسهم بشكل كبير في ربط مختلف مناطق بني سعد وثقيف وبلحارث وبني مالك بشبكة من الطرق الحديثة.

التعليم

لقد قطع التعليم في المملكة العربية السعودية شوطا كبيرا، حيث انتشرت المدارس والمعاهد والكليات والجامعات في مختلف مناطقها: وتضم منطقة الطائف مجتمعة ٢٥٥





١ — ٢ — تنتشر القرى في بطون الاودية والغابات الكثيفة في سفوح الجبال بمنطقة بني سعد.

٣ — للمدارس نشاطات متعددة في منطقة الطائف ومن اهمها اقامة المعارض التي تمثل التراث الشعبي في المنطقة.

مدرسة ابتدائية و ٧٨ مدرسة متوسطة و ٢٤ مدرسة ثانوية. منها ٨٦ مدرسة ابتدائية و ٣١ مدرسة متوسطة واحدى عشرة مدرسة ثانوية تقع في بني سعد وبلحارث وثقيف وبني مالك وتضم ما يقرب من احد عشر الف طالب.

وبهذا الصدد تحدث الينا الاستاذ سعد محمد عبد الواحد، مدير عام الشؤون التعليمية بالطائف، قائلا: ان وزارة المعارف تعتزم تنفيذ مرافق تعليمية في تلك المناطق، منها اربعة مرافق في بني سعد، ومرفق واحد في بلحارث، وخمسة مرافق في بني مالك، ومرفق في ثقيف. كما ان الرئاسة العامة لتعليم البنات لم تدخر وسعا في تعليم بنات تلك المناطق، فاقامت المدارس الابتدائية والمتوسطة والمعاهد، وقد التحق بهذه المرافق التعليمية خلال العام الدراسي ١٤٠٣/١٤٠٤هـ، ما يقرب من ١٦٧٩ طالبة في منطقة بني سعد، ونحو ١٠٣٣ طالبة في منطقة بلحارث، وحوالي ١٠١١ طالبة في منطقة بني مالك، و ٥٢٠ طالبة في منطقة ثقيف.

ونظرا لتزايد عدد الطالبات في تلك المناطق، عاما بعد عام، فقد قررت الرئاسة العامة لتعليم البنات اقامة اربع مدارس في بلحارث، وثلاثاً في ثقيف، وسبعاً في بني سعد.

الأدب والفنون الشعبية

حظيت الطائف وما حولها، في الجاهلية وصدر الاسلام، بمكانة ادبية مرموقة في انحاء الجزيرة العربية، فقد كانت سوق عكاظ منتدى ثقافيا يلتقي فيها فحول شعراء العربية في مساجلات شعرية تتناول الجوانب الاجتماعية والسياسية للقبائل آنذاك. وكانت القبيلة ترعى شاعرها وتحسن اليه حتى يتغنى بمفاخرها ويرفع من قدرها. كما كانت تلك السوق منبرا لعدد من حكماء العرب الذين كان لهم دور كبير في تذكير الناس بان هناك ربا وحسابا وبعثا، كامثال قس بن ساعدة الايادي الذي كانت له صولات وجولات في سوق عكاظ.

«ووقف رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بعد مبعثه بثلاث سنوات في سوق عكاظ يدعو الناس للخير، والهدى، والسعادة، ولتوحيد الله، وقد لزمه منذ قيامه بالدعوة حزن عميق على قومه الذين كفروا بما جاء به من عند الله، فعزم على غشيان الموسم، وان يأتي للقبائل في كل جماعة في حيهم يعرض عليهم دين الله [٩]».

ويعرض شكيب ارسلان في كتابه «الارتسامات اللطاف» عددا من شعراء الطائف منهم: العرجي، الشاعر المشهور، وهو عبد الله بن عمرو بن عفان بن عفله بن ابي العاص، وطريح بن اسماعيل الثقفي، وغيلان ابن سلمة بن متعب بن مالك، وامية بن ابي الصلت، والذي ينسب اليه هذان البيتان:

قوم اذا نزل الغريب بارضهم
ردوه رب صواهل وقيان
لا ينكتون الارض عند سؤالهم
لتلمس العلات بالعيدان

وفي الآونة الاخيرة، قام الشيخ محمد سعيد بن حسن كمال، صاحب مكتبة المعارف، بالطائف بجمع عدد كبير من قصائد «النبط» او الحميني، كما يطلق عليه اهل الطائف في عدة اجزاء بعنوان: «الازهار النادية في شعر البادية»، وذلك اسهاما منه، كما قال في مقدمة الجزء الأول، في حفظ التراث الذي عملت يد الزمن على محو الكثير منه، وقد اشتمل الجزءان الأول والثاني منه على قصائد كثيرة لعدد من شعراء الحجاز، اخترنا بعضا منهم.

* عوض الله بن مسيفر الزايدي، وهو من كبار شعراء النفعة من بني سعد. ويتمتع هذا الشاعر بقريحة لا تنضب وشعر جيد، وله قصائد كثيرة في المديح والحكم والمساجلات، يقول في مطلع احدى قصائده:

يا الله طلبتك يا مسقي الظاميات
وليا التزم عبدك بحبلك ما يخيب
قلته وانا مبداى على النايفات
وابدع تماثيل كما شرب الحليب

* عطية الشاعر الحارثي، وهو من شعراء بلحارث المجيدين في الحكم والوعظ، يقول في قصيدة طويلة له:

كما في الظهر لا قر مال
ليا جات الغيابا مايلات

تروها ما تقر ولا لاحد
يقع للواحد الفرد الصمد
إلها مطلع في كل سد
محيط البادية والغابيات

* احمد الوديود الحميدي الثقفي، وهو من الشعراء البارعين، ومعظم اشعاره مفقود، وقد توفي حوالي سنة ١٣٠٠ هـ. وهذه ابيات من قصيدة طويلة له يقول فيها:

ياالله تجمعنا على حال مستور
من عتمة المغرب ليا طلعة النور
ولدان ولا مترفات من الحور
والكل منا يبلغ الشف ومناه

وفي مناطق بني سعد وبلحارث وثقيف وبني مالك التقت القافلة بعدد من شعراء النبط، الذين تحدثوا عن مسيرة الادب الشعبي وعن الشعراء المجيدين في هذا المجال، ومن بين هؤلاء الشعراء: عبد الله بن دخين الثبيتي، ومحمد سعيد الذويبي، وهلال بن سعد السيالي، وعبد الملك غازي وغيرهم، وهم من منطقة بني سعد. وعطية الحارثي وسعد بن عبد الله، وابن طوير، ومريسي الحارثي، واحمد دخيل الله بن ختان الحارثي، وهم من منطقة بلحارث. يقول الشاعر احمد الحارثي من قصيدة طويلة له:

الا بالله يامبدي النجوم
يازبن الطيور اللي تحوم
ويا من غير حكمه ما يدوم
ولبني آدم خلق جنه وناره
نعيم الجنة لمقيم الصلاة
ولا يا ويل مخلوق عصاه
ومن يكفر بنيرانه لظاه
يصاليها بليله والنهار

اما منطقة بني مالك فقد برز فيها عدد من الشعراء معظم قصائدهم يدور حول الحكم والتمسك بالاخلاق الفاضلة. وفي هذا المقام نقتطف جزءا من قصيدة طويلة للشاعر احمد ابن جمعان، يوصي فيها ابنه بطاعة الله والمحافظة على العرض والدين، وبر الوالدين، فيقول:

«مساعد» بوصيك واسمع وصيتي وعن جوابي لا تكون غرير
حافظ على عرضك ودينك وشيمتك وخلك لحل المشكلات بصير
ولي نصتك الناصية شد عزمك واصبر وخلي اللي يصير يصير
وارفق عليّ ان طال عمري عندك كما رفقت عليك وانت صغير

ويستطرد احمد بن جمعان في وصاياه لابنه فيقول:

والعسر ماعيّب ذياب ابن غانم وكان بين الرجال فقير
العيب من باع ابن عمه على العدا وكفه عن افعال الرجال قصير
والعيب من يقصر عن الربع فرقته ليشاف ما بين الرجال مشير
والعيب من يرقب لخلة جاره، في خلة الجيران عيب كبير
والعيب من يمشي بدرب النميمة، درب النميمة للرجال خطير
واللي تشمت بي فلا بد يفنى ويجيه عقبي منكرا ونكير

١ - تشتهر منطقة بني مالك بزراعة البر، وهذا احد الحقول في منطقة حداد بني مالك

٢ - بناء الجسور وشق الانفاق في الجبال من المشاريع الحيوية التي تضطلع بتنفيذها الحكومة في بني مالك.



اما الشاعر معتوق الزبيدي المالكي فقد استهل احدى قصائده بقوله :

والثانية يا مرحبا ياضيوفنا
ترحيبة عد الورق في العود
سيروا وشوفوا مناظر بلادنا
اللي حكمها فهد بن سعود
اعطى جميع الشعب من كل مابي
عسى حياته في غنى وزود

اما بالنسبة للفنون الشعبية فتكاد تكون واحدة في مناطق بني سعد وبلحارث وثقيف وبني مالك، مع اختلاف في اللهجة. ومن الفنون التي يؤديها رجال القبائل هناك: السامري، والعرضة التي تختلف في ايقاعها ونغماتها عن العرضة النجدية المعروفة، والقصيمي، والردح. وجميع هذه الفنون تؤدى بمصاحبة طبل او طبلين يقوم بالضرب عليها شخصان او ثلاثة، وذلك حسب الحاجة. الا ان اشهر هذه الفنون الشعبية «لعبة الزير»، التي يقف فيها الرجال، بكامل لباسهم وعدتهم من بنادق وسيوف وخناجر (يطلق على الواحد منها جنبية)، يقفون في صفين متقابلين او ثلاثة صفوف لترديد ابيات شعرية ينظمها شاعر او اكثر من شعراء القبيلة. ويبتدىء كل شاعر قصيدته النبطية بالالات (يالا يالا يالا لا) والتي تناسب نغم ونظم الابيات الشعرية التي سينطلق بها. وبعد ان ينتهي الشاعر من القاء ابياته، والتي قد لا تتجاوز البيتين او الثلاثة في المرة الواحدة، يردد الرجال تلك الابيات على نغمات الزير، ويبدأ فريق آخر منهم في الرقص على تلك النغمات. ويستمر الرقص على انغام الزير لمدة ساعتين او أكثر. ومن الابيات الشعرية التي يرددها شعراء القبيلة في المناسبات الشعبية:

يالا يالا يالا لا
ياسلام الله على مرسى الجمايل
عد ما تنشي المخايل من نصوبه

أما الصناعات اليدوية الشائعة في تلك المناطق، فتشمل الخناجر وبعض الادوات الفخارية او النحاسية. ويهتم بعض ابناء المنطقة بالاحتفاظ بالمقتنيات القديمة كالبنادق والسيوف واطباق المائدة الكبيرة المصنوعة من الخشب، والتي يطلق عليها اسم «الصحاف». وهذه «الصحاف». كان يقدم فيها الارز او الثريد مع اللحم في المناسبات الشعبية الكبيرة.

المرافق والمصالح الحكومية

في مناطق بني سعد وبلحارث وثقيف وبني مالك عدد من الادارات والمرافق الحكومية كالامارة، والشرطة، والمحكمة، ومكاتب البريد، والمستوصفات الصحية، وغير ذلك. ويتطلع امراء المراكز وشيوخ القبائل في تلك المناطق الى توفير بعض الخدمات والمرافق الضرورية الاخرى التي تحتاجها المنطقة كشبكة الهاتف، والدفاع المدني، وفروع للبلدية، وتحسين شبكات الماء، والبث التلفزيوني، والكهرباء. ويعتمد المواطنون هناك، في توفير حاجتهم من الكهرباء، ما عدا منطقة ثقيف، على مولدات خاصة يتم تشغيلها في المساء فقط.

اما بالنسبة الى منطقة ثقيف فان خدمات كهرباء الغربية تصل اليها، وذلك عن طريق محطة تتكون من اربع مولدات قوة كل منها ١٥٠٠ كيلو واط، وعبر شبكة تبلغ اطوالها ١٣٥ كيلو واط للضغط العالي ونحو ١٠٠ كيلو واط للضغط المنخفض. وقد حدثنا السيد على احمد بن محسن الثقفي، مديركهرباء ثقيف بهذا الصدد، فقال: «نمت شركة كهرباء ثقيف سابقا، بمجهود من الاهالي حتى اصبحت في عام ١٣٩٧ شركة مساهمة. وفي السنة التالية حصلت على ترخيص من الحكومة ومنحت التعرفة الكهربائية، واصبحت شركة كغيرها من الشركات المرخص لها رسميا. وفي ١٤٠١/١١/١٧،انتهى مشروع التوسعة الحالي، واصبح يغطي منطقة ثقيف بكاملها، بل وتعدي ذلك وشمل جزءا من قبائل بلحارث».

وفي منطقة الشعاعيب في بلحارث افتتحت وزارة الصحة، مؤخرا، مستشفى يحتوي على ثلاثين سريرا، وذلك لتوفير الخدمات الصحية لأهالي تلك المنطقة، ويضم المستشفى، حاليا، طبيبين عامين، وطبيب اسنان، ويحتوي على وحدة للاشعة، ومختبر، ووحدة لعلاج الاسنان. ويقع المستشفى، الذي يستقبل يوميا نحو ٢٥٠ حاله مرضية، على مساحة تقدر بنحو عشرة آلاف متر مربع.

وفي مدينة الطائف التقت القافلة برئيس بلديتها الدكتور حسن حمزة حجرة ومساعده المهندس سالم عبد الله بن بكر، وقالا: ان بلدية الطائف قد اقترحت، في الميزانية الحالية، اقامة مجمع قروي يكون مرتبطا ببلدية الطائف، يخدم القرى المرتبطة اداريا بمنطقة الطائف، كمناطق بني سعد وبلحارث وثقيف وبني مالك.

وبعد .. فقد كانت تلك الجولة في بلاد بني سعد وبلحارث وثقيف وبني مالك، حيث الطبيعة الخلابة.. هذه المناطق التي يشد اليها الرحال للاصطياف وقضاء أمتع الاوقات □

تصوير: محمد صالح آل شبيب



«مليك الخلق»

شعر: محمد رضا آل صادق / النجف

مـليك الخلـقِ جئتُ اليـكَ.. أسـأل جـودَ يُمنـاكـا
ومـا لي حيـلـةٌ تُرجـى لـكشفِ الضُـرِّ الاكـا
فأنت الكهـفُ يفـزعُ فـي الخطـوبِ اليـكَ مـولاكـا
فـآمـنَ.. سيـدي.. قلبـي وظـلَّـلـني بـنـعمـاك
فـانـي همتُ فـي دنيـايَ حـتـى كِـدْتُ أنساكـا
ولـولا أنـت تـنـقـذنـي لـكـنتُ أضـل لـولاكـا
وأشقـى فـي الذيـن شقـوا فـذاقـوا الخِـزيَ هَلاّكـا

* * *

الهـي كـم عصيـتُـك جـاهـلا وأطـعـتُ أعْـداكـا
وسرتُ وراءهـم فـحصـدتُ آلامـاً وأشـواكـا
ولـم ازهـدْ كمـنْ زهـدوا بهذي الـدار نسَّـاكـا
فـقـد عـرفـوك بـارئهـم كـمـا أنشـأت أفـلاكـا
ومـا فـي الكـون ان بشراً وان جِـنـاً.. وأملاكـا
عـبـادُ كـلُـهـم لـكَ لا يـرونَ لـديكَ أشراكـا[1]

* * *

فـوا لـهَفـي علـى نفسي الـذليلـةِ كيـف تلقـاكـا؟
وقـد عـادَتْ اليك عسـى تـنـالُ كـريـمَ جـدواكـا
وظـنـي أن تـقـولَ لظـامـيء لـلـعـفـو: بُشراكـا
ولستَ تـردُّ عـبـداً خـائـبـا.. مـولاي.. حـاشـاكـا

(١) الاشراك: الشركاء.

الأدوية المركبة والسموم



بقلم : د. نقولا زيادة / بيروت

الأدوية أو العقاقير المركبة عني بها الأطباء منذ أن بدأوا باستخدام العقاقير المفردة، وقد مر بنا ان البيروني بيّن الحاجة الى استخدام الأدوية المركبة. وثمة عدد من المؤلفين في الصيدلة الذين تناولوا هذا الموضوع باهتمام. لكن الرجل الذي أولى الأدوية المركبة كبير عنايته، بحيث جعل منها علما تجريبيا هو السمرقندي من أهل القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي وأوائل القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي. وأصل الرجل وأسرته من سمرقند في آسيا الوسطى. لكن الرجل قضى معظم حياته في «هرات»، في أفغانستان الحالية، حيث عمل طبيبا فيها. والسمرقندي، مثل البيروني، وضع مؤلفه المهم في الصيدلة، واسمه «كتاب أصول تركيب الأدوية في الطب» باللغة العربية، لأنه كان يرى، كما رأى البيروني قبله، بأنها اللغة الوحيدة التي تصلح لأن يدوّن العلم بها. وفي سنة ٦١٩هـ/١٢٢٢م، اجتاحت «هرات» جموع من برابرة الشمال، فهدموا المدينة وقضوا على سكانها، وكان السمرقندي في عداد من قتل يومها.

وكان السمرقندي قد قصد بغداد وقضى فيها بعض الوقت، لكنه فضل العودة الى «هرات». وفي بغداد التقى مع جماعة من المشتغلين بالطب والصيدلة.

والكلمة التي استعملها العرب للأدوية المركبة هي الأقرباذين. وكتاب السمرقندي في «الأقرباذين» يحتوي على مقدمة طويلة تناول فيها المؤلف الأسباب التي تحمل الأطباء، ومن ثم الصيادلة، على تركيب الأدوية. ويعدد أربعة عشر سببا لذلك وكلها تدور حول نوع المرض وقوّة العلة وافتقاد الأدوية أو العقاقير المفردة التي قد تنفع في بعض الحالات. ويضيف ان الدواء المفرد بحد ذاته قد يكون أقوى من اللازم، فيركب معه دواء آخر لتخفيف حدته. وقد درس السمر قندي طبائع الأدوية المفردة وخصائصها، ثم بحث في التركيب بين هذه المفردات ليخرج من ذلك بنتائج تتعلق بتركيب الأدوية كانت ذات أثر كبير في تطوير الصيدلة العملية.

والسمرقندي يحدد موقفه من تركيب الأدوية على أساس القياس والتجربة. فيقول: «وطريق القياس مأمون مستعمل معتمد عليه في جميع التدابير الطبية، وعسره لا يوجب تركه.

فان الأوائل ركبوا ما ركبوا بطريق القياس (على غيره) فوجدوه، بعد التجربة، على غاية ما أمّلوا منها حتى دعاهم ذلك الى أن دوّنوه وخلدّوه في الكتب. فيجب أن يكون (ذلك) أسوة لنا في اتخاذ المركبات .... وأنا أثبت من ذلك القبيل بعض ماتداولته أيدى التجارب وأبرزته عن القوة الى الفعل على طريق المثال، حتى ينتفع به عند اصابة موضعه واستعماله في مستحقه». والتجارب التي يشير اليها السمرقندى في هذه العبارة بعضها كانت من تجاربه الخاصة.

وكتاب السمرقندي، بعد المقدمة، فيه تسعة عشر بابا، تناول فيها الأشربة والمعجونات والحبوبات والمطبوخات والنقوعات والحقن وأدوية القيء والسفوفات والأضمدة والأطلية والغرائر والمربيات والسعوطات والشمومات والبخورات وأدوية الشعر. وفي كل حالة كان المؤلف يضع أمام الصيدلي المفردات التي يجب أن تستعمل في تركيب الدواء، وأوزانها وطريقة اعدادها بتفصيل. ولنمثل على ذلك بمثل بسيط. فهو يتحدث عن الربوب (مفردها الرُّب)، ويذكّر القارىء بأن الرُّب مصنوع أصلا من عصير الفاكهة أو الخضار، وبعد تجفيف العصير في الشمس واضافة السكر اليه يصبح رُبا. ويقول: «وقد تجمع الربوب ويركب بعضها مع بعض للمعونة على التبريد والقبض. وتصنع الربوب من رُب التفاح والسفرجل والحصرم والرمان والكمثرى والليمون (الحامض) وحب الآس والسماق والتوت الأبيض والزعرور». هذا من حيث الفواكه، أما الخضار فقد يستعمل عصيرها بدون اضافة السكر اليه.

والسمرقندي، كما ذكرنا، يمثل قمة من قمم علماء الصيدلة في دنيا العرب والاسلام. ونحن عندما نقرأ هذا الكتاب نجد فيه نموذجا لما قدمته الحضارة العربية من حيث المهارة والتركيب. أما المهارة فلعلها ترجع الى أن السمرقندي وضع كتابه في فرص كانت الحضارة العربية ومعطياتها الثقافية قد نضجت، ولذلك فالكتاب يمثل هذه المهارة المتراكمة.

أن كتاب السمر قندي يمثل أيضا التركيب العضوي على الأقل في الصيدلة، الذي عرف في كثير من ميادين العلم عند العرب، والعلم التجريبي بشكل خاص. فالعلماء العرب، بحكم الرقعة الواسعة التي كانوا يعتبرونها وطنا لهم ورثوا عن هذه الأقوام التي دخلت تحْت سلطان الدولة الاسلامية أشياء كثيرة كانت من قبل محلية الصبغة. لكن تحت حكم الاسلام أمكن جمع هذه الاشياء المحلية في تركيب عضوي. وفي الصيدلة نجد هذا واضحا. فالتجارب الأولى للشعوب كانت، في غالب الحالات، تتعلق بنباتات أو معادن أو حتى حيوانات حيث تستعمل علاجا وعقارا، مقصورة على رقعة صغيرة. لكن أيام العرب تجمعت هذه، أو على الأقل أصبح بامكان العالم التنقل والاطلاع على النباتات في الرقعة الواسعة الشاسعة. هذا من ناحية، ومن الناحية الأخرى كان اتصال العرب التجاري بالهند، في تلك الأزمنة، أي أيام السمرقندي، أقوى منه في أي وقت سابق، كما ان الدولة الغزنوية كانت قد احتلت وادي السند، وهذا كله مكّن للسمرقندي ومعاصريه الاطلاع على ما عرفه الهنود وغيرهم من شعوب جنوب شرق آسيا، من طبائع الأفاويه والتوابل والعطور وخصائصها الطبية أكثر من سابقيهم. ومثل ذلك عن الخصائص الطبية لبعض نباتات الصين وآسيا الوسطى ومعادنها.

ولابد من أن نذكّر أنفسنا بأن انتشار البيمارستانات في أنحاء العالم العربي الاسلامي كان عاملا في تشجيع واعداد الأدوية وتركيب الأقرباذين، كما كان حافزا على وضع الكتب التي تساعد الصيدلاني والقائم على شؤون البيمارستان.

وكان الاهتمام بالسموم مما يدخل في عمل المشتغلين بالصيدلة دراسة وعملا. أما الدراسة فلأن فهم السموم ومعرفة خصائصها قد يمكنهم من اللجوء اليها في بعض الحالات المرضية للعلاج. أما الناحية العملية فتطبيق هذا الذي يتعرفون اليه. على أن لدراسة السموم وجها آخر، وهو محاولة التعرف الى نوع الترياق الذي يستعمل ضد سم معين. فالسم والترياق أمران متلازمان منذ أن قام العمران البشري. وقد يتسمم الناس — خلال العصور المختلفة — مصادفة بفعل عضة أفعى أو تناول طعام فاسد، وقد يتسمم الناس اذا اطلقت عليهم سهام مسممة الرؤوس، وقد يتسمم بفعل الخصوم المباشر اذ يدسون السم لهم بطريقة أو بأخرى. ولذلك انصرف الناس الى البحث عن الترياق بأشكاله المختلفة.

فمن ذلك ان قدماء البابليين كانوا يستعملون الخل واليانسون ترياقا. ولسنا نشك في أن قصص السم والتسمم والتسميم ووسائل انقاذ المصابين وأنواع الترياق المستعملة قد انتقلت من مكان الى مكان ومن جيل الى جيل، واكتسبت أبعادا جديدة في كل حال. ولما كانت رقعة الحضارة العربية متسعة، وشعوب الرقعة لهم خلفيات تاريخية وحضارية متباينة، فقد كان من الطبيعي أن تتجمع لديهم أمور كثيرة وقصص وأساطير تتعلق بذلك.

وكما اهتم العلماء العرب بالعقاقير عُنُوا بالسموم على أن هذه من تلك. ومع أن الكتب التي وضعت في السموم خصيصا على أيدى العرب قليلة نسبيا، فان كل مؤلف في الصيدلة أو الطب مثلا، خص السموم بفصل أو أكثر. فنحن نجد أن ثابت بن قرة أشار الى السموم في التذكرة في الطب (وهو من أهل القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي)، وان الكندي وضع كتابا في السموم (القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي)، و «كتاب السموم»



لابن وحشية وضع حول سنة ٣٠٠ هـ وجاء بعده كتاب في السموم لجابر بن حيان كبير علماء الكيمياء عند العرب (القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي). وحتى البيروني كتب عن السموم في «الصيدنة».

وقد وصلت معرفة السموم الى العرب عن طريقين — الأولى طريق اليونان، وكانت مقولات «نيكاندر» هي الأساس هنا، ولكنها وصلت في وقت متأخر، أو على الأصح تغلبت على الجزء اليوناني المعرفة الهندية، وهي التي جاءت عن الطريق الثاني.

والذي عليه الدارسون هو ان كتابا في السموم من صنع شاناق الهندي، وهو من أهل القرن السادس أو السابع للميلاد، وصل الى أيدي العرب ولكن عن طريق هندي آخر اسمه منكه (أو لعله كنكه). وهذا فسّر كتاب شاناق من اللسان الهندي الى اللسان الفارسي. وقد تم هذا في أوائل العصر العباسي. ولما أخذ العرب انفسهم بالترجمة الى العربية، كان كتاب شاناق (أو شاراكه؟) فيما نقل الى العربية على يد أبي حاتم البلخي، وكان ذلك في عصر المأمون ١٩٨—٢١٨هـ/٨١٣—٨٣٣م).

هذا الكتاب وما رافقه من قصص وأحاديث عن السموم دفعت بابن وحشية (من أهل القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي) الى وضع كتابه المعروف بـ «كتاب السموم». وكان ابن وحشية صابئا من أهل حران، وكان ذا معرفة بالفلك، ولعله كان، بحكم انه من اتباع عبادة النجوم، يتأثر بأمور هي تنجيمية أكثر منها فلكية. ومن هنا نجد كتابه مزيجا من الدقة العلمية في التحدث عن خصائص مفرداته والتهويل والأقاصيص. فاذا نجا شخص من حادثة تسمّم اعتبر الأمر معجزة أو أمرا خارقا. ولكن عندما يتحدث عن السم وكيف يقضي على الحياة في الانسان أو الحيوان نراه دقيقا في وصفه. فالسم، في رأى ابن وحشية، قوي في طبيعته بحيث انه يعطل قوة الحياة في متناوله. فهو يتلف الأعضاء الواحد تلو الآخر. الكبد والمعدة والقلب والعضلات. فتعجز هذه عن القيام بوظيفتها الأمر الذي يؤدي الى الموت المحقق. كما انه يصف الأعراض التي يصاب بها المتسمم — من التشنج واحمرار الوجه وانتفاخ الأوداج والعجز عن الحركة وتوقف التفكير والتقلب الى الجانبين بسبب الآلام التي قد تكون مبرحة — كل هذا دقيق يدعو الى الاعجاب.

ولنعد الى البيروني. وقد نقلنا عنه من قبل وصفه الأدوية بين الأغذية والسموم. والأدوية، كما قال، انها بالاضافة الى الأغذية مفسدة والى السموم مصلحة. وننقل من «كتاب الصيدنة» قوله: «وهناك ماسموه غذاء دوائيا وما سموه دواء سمياً، واعتمدها الأطباء بعد اصلاح قواها والاحتيال لدفع غوائلها حتى يتم الانتفاع بها. وكان ميلهم في العلاجات الى الأغذية الدوائية اكثر منه الى الأدوية السّمية الا عند الاضطرار».

وفي متن «كتاب الصيدنة» يورد البيروني ستا وعشرين مادة من السموم النباتية والمعدنية، ويبين خصائصها من حيث قوتها وضعفها. وقد رأينا أن ننقل هنا ما ورد عنده عن بعضها.

أشنان: نبات ينمو أفضله في جرّ (وادي) الخضارم في اليمامة. والأشنان ضروب، ألطفها الأبيض وأشدها الأخضر. وهذا يستعمله القصارون لتبييض الثياب. وهو جد منق. ونصف درهم منه يحل عسر البول ويدر الطمث. وخمسة دراهم منه يسقط الجنين وعشرة دراهم تقتل.

بيش: منبته بارض الهند في جبال كشمير. وشربته القاتلة نصف مثقال (أي ٢,١٠ غرام). وتطلى رؤوس السهام بعصارته فتكون اصابته قاتلة سما. ويضيف البيروني «وقل ما يقع منه الى بلاد الاسلام». وقد يستعمل لسم الثياب (حتى تقتل من يلبسها) وعندها يتوجب على الخياط أن يلبس القفاز، أو على الأقل يغلف أصابعه.

زرنيخ: معدن يعرف منه ثلاثة أصناف: أبيض قتال، وأصفر واحمر. والأصفر يجلب من أرمينية ومن بغداد أيضا. ومنه جنس يكون في بنطس وآخر في فرغاته والأحمر يجلب من نيسابور. وفي أصنافه رائحة الكبريت.

اليتوع: نبتة تنبت بين الصخور ورقها مثل ورق الزيتون الا انه أطول. والذي يعنيه الأطباء من اليتوع هو لبن اللاغية. وأصنافه سبعة قتالة. وهو ذكر وانثى، وهذه الأفعال للنوع الذكر، وهو احمر القضبان، مملوء لبنا حادا.

وغني عن الاعادة، ان هذا الذي نقلناه هنا هو مختصر جدا. لأن البيروني يعطي الأسماء للنبتة الواحدة أو المعدن، باللغات المختلفة. ويوضح فيما اذا كان الاسم الهندي أو اليوناني أو الفارسي مثلاً هو للاصل بأكمله أم انه لنوع أو صنف معين منه، ويتوقف هذا على مكان وجود المادة أو لونها أو قوتها أو أي فرع منها.

وبعد، فان كتب الطب والصيدلة وغيرهما من العلوم الأخرى، لما نقلت الى اللاتينية أو القشتالية، ثم بعد ذلك الى الانكليزية والفرنسية مثلا، كانت فتحا جديدا في مجالاتها المختلفة بالنسبة للغرب. وظلت هذه الكتب مرجع الدارسين مدة طويلة. وفيما يتعلق بكتب السموم أو الأجزاء من كتب الصيدلة عن السموم، يقول «م. ليفي» انه لم تظهر كتب في السموم مبنية على التجربة العلمية حتى القرن الثامن عشر، اذ قام بذلك «فونتانا» الايطالي. وحتى ذلك الوقت كان الباحثون والمجرّبون والممارسون لاستعمال السموم. يعتمدون على أمثال «ثابت» و «الكندي» و «ابن وحشية» و «جابر بن حيان» و «البيروني» □

اللوحة البحرية

بقلم: منذر شعار / الكويت

لم أكن قد رأيت في البحر عاصفة هوجاء مثل هذه .. ولقد ركبت البحر كثيرا في هذا «النقل البحري» الذى يسمونه في الخليج «السفر»، ووصلت الى الهند، مرات، وعدت ولم أر ما أراه الآن .. انه الموت والغرق غير شك .. وبينا المرء سالمٌ سادرٌ لاهٍ .. اذا هو في فم الخطر والدمار بلحظة.

وهرج أهل سفينتنا ومرجوا ودعوا وتضرعوا الى الله تعالي، وعمل النوخذا ما يستطيع واستفرغ، ونحارته، جهودهم في انقاذ السفينة .. ولكنها ويا ويلاه — تَشَقَّق وتغرق .... والتفتُ حولي .. لا أرض ولا أشباحها .. ونحن في عُرض البحر، في طريق الهند، ومعنا بضائع، وكنت في هذه السفرة قد أخذت لنفسي بضاعة خاصة بي، وأكثرت ورجوت الربح العميم، من رأس المال الكثير، وكانت بضاعتي عروضا كثيرة، من كل صنف .. ثم .. لآلىء نادرة..

والآن .. أضحى كل شيء يُرمى في البحر .. رجاء أن يخف حمل السفينة فتنجو، بعض نجاء .. ورأيت ورأى الناس بضائعهم وذخائرهم ترمى في البحر، ولم يكن الهول المحيط بنا لينسيني بعض الأسى على الذخائر والأموال .. وتذكرت أكثر شيء .. والموت يقترب .. عيالي وأهلي في الكويت .. كيف حياتهم بعدي .. ولا مال ولا معاش .. فسينتقلون من عال الى خفض، ومن سماء الى أرض، ومن رفاه ورخاء الى أقل من الكفاف..

وهجم الماء على السفينة، وبدأت تغوص، فكم من غرق حدث وكم من اختناق وكم من ميت مات قبل الغرق والماء، هولا ورعبا .. ورأيتني والهول الأكبر يلفنا بعد لحظات، على سطح البحر، وحيدا وقد تعلقت بلوح خشب مما تفكك من السفينة، أتشبث بالحياة وأتمسك بالأمل، ورأيتني أتلفت فلا أجد الا الماء، وهناك .. بعض أشباح، مثلي، على الخشب يغرقون، وأيديهم تمتد مستنجدة .. ثم تختفي وراءهم ... وقد قدر الله لي أن أنجو بعد هولٍ من لعب الأمواج بي .. بواسطة سفينة صغيرة لاحظت من بعيد غرق سفينتنا فوصلت بعد فوات الأوان .. لكنها انتشلتني .. وبلغت شاطىء مدينة بومباي . بالهند.

وأي نجاء هذا .. الحياة أحيانا ليست غالية ونفيسة بالقدر الذي يتخايله بعض الناس. فقد رُميتُ على الشاطىء، وأعطيتُ دريهمات .. وتُرِكتُ لمصير فظيع .. فاشتغلت بالخدمة .. خدمة الناس .. لأعيش .. وكنت أولا في مطعم .. أغسل الصحون، ثم في ناد، ثم عند رجال في بيوت .. انتهى بي المطاف الى رجل متوسط الغنى وهدأت قليلا عنده لأفكر..

أولادي .. زوجي .. حياتي وأحوالي في الكويت .. ومالي .. والذكريات والآمال المعقودات .... وكيف الآن الوصول؟!!! وكيف المعاد؟ .. وانما الكسب طعام البقاء .. وان عدت فبماذا أعود ... وقد انهار كل شيء .. وألقي في البحر كل شيء..

وتمر الأوقات، والأيام .. وأنا أفكر .. لقد كنت أحمل في تلك الرحلة كل ثروتي، عروضا وثيابا ولآلىء .. وكنت أترجى الأرباح الكثيرة .. فابتلع البحر كل شيء .. ونجوت ..

ويقال في مثل هذه الاحوال: الحسن أنك نجوت، فليتني لم أنج، وما حياة بلا بيت وأهل وولد وآمال وأعمال..

وكان يقطع تفكيري عليّ دائما صياح سيدي .. فأسعى في الخدمة .. وأنهك .. ياسبحان الله .. كنت سيدا أتخذ خدما. فالآن صرت في جانبهم ورأيت هذا العالم.. عالم الخدم، وكيف نظرُهم الى من هم فوق، وكيف مسكنَتُهم، وبؤسهم، وكم على سادتهم من واجبات تجاههم، من بر ورحمة وانصاف ونظر على أنهم، مثلهم، أناسي.

ويا عجباه.. أعلى كل انسان أن يصير خادما ليعرف حقوق الخدم على سادتهم، أليس في الذي جاء به الدين الحنيف غنىً وكفاية؟!! ولقد سمى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، الخدم والعبيد اخوانا لسادتهم، فأيّ أفق كريم وأيّ دين قويم..

وصاح بي سيدي .. فهرعت اليه، وصعدت السلم، ودخلت عليه حجرة لم يكن قد دعاني قبل اليها، ودخلت، واذا هي حجرة يتخذها لبعض مقتنياته وتحفه. وكان قليلا ما يغشاها، وقد غشيها اليوم واحتاج لشىء فصاح عليّ .. ودخلت .. وحانت مني لفتة الى الجدار، وفوجئت وذهلت وتجمدت .. ولاحظ سيدي فقال:

— ما بك؟ ماذا جرى لك؟

وعُقِدَ لساني .. وفغرتُ فمي وعينيّ .. يا

للمقادير .. لوحتي .. لوحتي البحرية نفسُها معلقة على الجدار.. ولقد كانت معي في السفينة لوحة .. لمنظر بحري عن الغوص .. بديعة رسمها رسام خليجي .. فيها لمسة البراءة وعمق المعاناة .. وكنت اشتريتها من البحرين .. و.. و.. وكانت غالية عندي جدا .. فهي هذه .. هي هذه والله..

وصاح السيد:

— أمن أجل لوحة بحرية تَذْهَل وتُصْعَق وتتجمد؟ قلت، وقد هدأت وانبعثت فيّ شجاعة كشجاعتي يوم تعلقت بالخشب:

— نعم .. هي لوحتي .. لوحتي يا سيدي.

— لوحتك ؟.. كيف لوحتك ..

— قد أخبرك من جاء بي اليك انني كويتي طواش .. غرقت سفينتي ونجوت.. وكان النوخذا قد رمى بكل بضائع السفينة قبل الغرق، طمعا بالانقاذ.. وكانت هذه أنفس مالديّ.

قال وقد هدأ ورّق قليلا..

— أنفس مالديك؟؟ اذن لم يكن معك شيء .. فان هذه اللوحة وسَط" في لوحات الزينة .. وان شئت فخذها .. هي لك.

وأهويت عليها فاختطفتها من على الجدار وتشبثت بها .. وقال السيد:

— يبدو أنك صادق أيها الخليجي، فقد قال الذى اشتريتها منه وهو صاحب محل كبير هنا ان هذه اللوحة جاءت من آثار سفينة غرقت في البحر .. فان كنت من القلائل الذين نجوا ورأيت اللوحة فعرفتها فأنت صادق. وعلى كل حال، هي ليست ثمينة بالقدر الذي تحجبها عن مدّع لها .. خادم لنا نشيط .. فخذها، ولكن هات ماطلبته منك ثم اذهب الى مكانك وتأمل في لوحتك ماتشاء..

وأسرعت فانجزت له ماطلب، ولما أردت العودة للانفراد بلوحتي، قال متضاحكا:

— يبدو أنك على شيء من الحمق .. تقول انك طواش .. ونكبت في نفسك ومالك، أفتذهل وتتجمد وتكاد تموت من رؤية لوحة من متاعك ليست غالية .. وتنسى حر بضاعتك ومالك .. فماذا عسى تكون هذه اللوحة الا صورة؟؟!!

ولم أحر جوابا، ونظرت فيه نظرات المفاجأ العاجز، وأردت أن أغطي حالي بنبس كلمة فلما تجمعت سريعا لها قاطعني يقول:

— أعرف ماذا ستقول، ستقول نحن أهل الخليج نحب البحر والغوص وهذه من أجوائنا وحياتنا فكأنني حين وجدتها وجدت حياتي .. حسنا حسنا .. اذهب ودعني لشأني، وتأمل في لوحتك البحرية ماشئت..

وطرت الى غرفة الخدم، ولم يكن فيها أحد .. وأغلقت الباب وأوصدته، وتحسست اللوحة .. وكنت أرتجف، ويخفق قلبي خفوقا شديدا، وأنفاسي تتردد، كانت بي حالة أشد مما وصف السيد، ولم يكن بي حمق، ولا كنت مغرما باللوحة من أجل الفن فقط، والفكرة المثالية والتعلق بالأثر المثير للذكريات .. لا .. بل من أجل شيء آخر .. نعم .. لهثي وخفقان فؤادي واقترابي من الصعق كان لشيء آخر .. ومددت يدي فتحسست اللوحة من قفاها .. فزاد خفقاني .. فتناولت السكين وخرقت قفا اللوحة فتهاوت اللآلي تلمع كأنها تضحك ..

وران صمت مثير على المجلس، والطواش القديم يقص قصة ذكرياته في السفر، وبنوه وأحفاده حوله، وصحب وجيران وقد ارتدت حياتهم في هذا الخليج سعادة، ومتعوا برزق الله متاعا حسنا .. ثم أردف الطواش القديم يقول:

— نعم .. كنت في السفينة قد خبأت ثروتي اللؤلؤية في قفا اللوحة البحرية، تخفيا من حسد الحساد، وحفظا من ريب الناس والزمان .. فلما وقعت الواقعة .. وألقيت اللوحة ، فيما ألقي، في البحر، وكان ماكان .. عثر على اللوحة فيما عثر عليه من آثار السفينة الغارقة، فأخذت فبيعت في الهند حتى وصلت الى السيد الغني ثم اليّ .. وقدر الله تعالى أن يحفظ جلّ مالي، ويرجع الي، ويبين خطأي في الاستهانة بنجاتي، فقد نجوت لاستعيد ثروتي، وأترك الهند وأعود الى موطني عزيزا غنيا، فاستمر في حياتي، واستكمل مسيرة عمري، حتى هذا الوقت..

وانظروا .. لو أني حفظت اللوحة في صندوق من الحدثان لربما سرقها سارق أو فقدت لأى سبب، فقد سقطت في البحر في جلبة وأخذت فبيعت وتلقفتها الأيدى ووضعت حيث لا حارس ولا حامي .. حتى سلمت اليّ، غير منقوصة .. فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين.

وتفرق المجلس، في نشوة جلساؤه ومتاع، يقول أحدهم لصديقه وهما على الباب في اتجاه السيارات:

— ما أجمل أقاصيص الكويت!

فيقول الآخر:

— ما أكثر ما التف بالحادثات .. أهل الكويت..□



أخبار الكتب

* أصدر الاتحاد الدولي للبنوك الاسلامية كتابا جامعا عن الأعمال المصرفية الاسلامية بعنوان «الموسوعة العلمية والعملية للبنوك الاسلامية»، وطبع الكتاب في مطابع الاتحاد.

* صدر في بيروت «معجم لمصطلحات المحاسبة» من وضع الاستاذ بشير العلاق ونشر الدار العربية للموسوعات.

* يعكف الأستاذ عبد الجبار عبد الرحمن على اصدار «فهرس للمطبوعات العراقية ١٨٥٦ — ١٩٧٢» وقد نشر أخيرا الجزء الثالث منه عن وزارة الثقافة العراقية.

* من كتب التراث التي صدرت مؤخرا «ديوان الطغرائي» للحسين بن على الطغرائي وقد صدرت منه طبعة ثانية بتحقيق الدكتورين علي جواد الطاهر ويحي الجبوري عن دار القلم في الكويت. ونشرت نفس الدار كتاب «شعر عمرو بن شاس الأسدى» من تحقيق الدكتور الجبوري. كما نشرت رئاسة المحاكم الشرعية في الدوحة كتاب «الاجماع» لمحمد بن ابراهيم بن المنذر من تحقيق الاستاذ فؤاد عبد المنعم احمد.

* كان الأديب الراحل الدكتور طه حسين ينشر مقالات اجتماعية واصلاحية في جريدة «كوكب الشرق» في مطالع هذا القرن. فقام الأستاذ محمد سيد كيلاني بجمع هذه الفصول وتحقيقها والتعليق عليها ونشرها بعنوان «أحاديث المساء». وقد صدر الكتاب عن دار العرب للبستاني.

* حول الاستشراق والمستشرقين صدرت طائفة من الدراسات منها: «رسم المصحف العثماني وأوهام المستشرقين في قراءات القرآن الكريم» دوافعها ودفعها «للاستاذ عبد الفتاح اسماعيل شلبي، ونشر دار الشروق بجدة، و «الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية» للدكتور قاسم السامرائي ونشر دار الرفاعي بالرياض، و «الرسول صلى الله عليه وسلم في كتابات المستشرقين»، للاستاذ نذير حمدان ونشر رابطة العالم الاسلامي.

* صدرت ثلاثة كتب تتناول الجوانب المختلفة للاعلام، هي: «بحوث في الاعلام الاسلامي» للأستاذ محمد فريد محمود عزت ونشر دار الشروق بجدة، و «فن الكتابة الصحفية» للدكتور فاروق أبو زيد ونشر دار الشروق، و «العربية لغة الاعلام» للدكتور عبد العزيز شرف ونشر دار الرفاعي بالرياض.

* حول الشعر والشعراء صدرت دراسات جديدة منها: «الزهاوي في معاركه الأدبية» للاستاذ عبد الرزاق الهلالي ونشر وزارة الثقافة العراقية، و «جناية الشعر الحر» للاستاذ احمد فرح عقيلان ونشر نادي أبها الأدبي، و «مفهوم الشعر: دراسة في التراث النقدى» للدكتور جابر عصفور ونشر دار التنوير، و «شعراء معاصرون» للاستاذ احمد مصطفى حافظ ونشر الهيئة المصرية العامة للكتاب في سلسلة «المكتبة الثقافية».

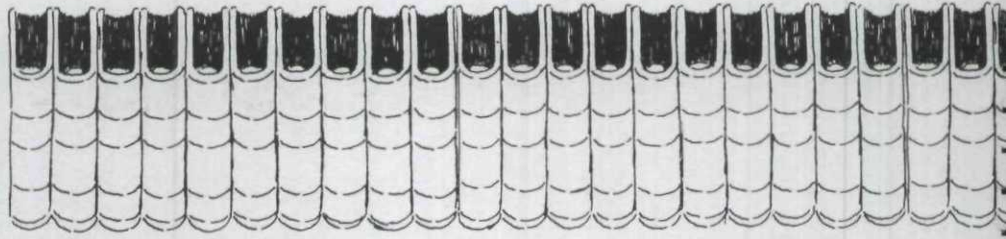
* من الكتب التي عنيت بالدراسات القرآنية والاسلامية ما يلي: «الرد القرآني على كتيب هل يمكن الاعتقاد بالقرآن» للاستاذ عبد الله كنون ونشر دار الكتاب اللبناني، و«دراسات في التربية الاسلامية» للاستاذ تركي رابح ونشر المؤسسة الجامعية ببيروت، و«في الدراسات القرآنية واللغوية: الإمالة في القراءات واللهجات العربية» طبعة ثالثة للاستاذ عبد الفتاح اسماعيل شلبي ونشر دار الشروق بجدة، و «الجانب التطبيقي في التربية الاسلامية» للاديبة ليلى عبد الرشيد عطار ونشر دار تهامة، و «الجهاد والحقوق الدولية العامة في الاسلام» للاستاذ ظافر القاسمي ونشر دار العلم للملايين، و «المدنية العربية في الاسلام» للدكتور احمد عبد السلام ونشر مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية في تونس، و «النظم الدبلوماسية في الاسلام» للدكتور صلاح الدين المنجد ونشر دار الكتاب الجديد، و «مقدمة في الوثائق الاسلامية» للدكتور قاسم السامرائي ونشر دار العلوم بالرياض، و «نظام الشرطة في الاسلام» للدكتور محمد الشريف الرحموني ونشر الدار العربية للكتاب.

* مجموعة من الكتب الطبية الحديثة نشرت أخيرا منها: «صحة الأسرة» للدكتور زهير احمد السباعي ونشر «سلسلة الكتاب العربي السعودي»، و «الحساسية: ماهي؟ أنواعها، اسبابها، أعراضها للدكتور صباح ناصر العلوجي ونشر دار القادسية ببغداد، و«التغذية في الصحة والمرض» للدكتور عبد اللطيف موسى عثمان ونشر أخبار اليوم، و «امراض القلب والشرايين «للدكتور محمد ياسين ونشر دار الكتاب اللبناني.

* عن المملكة العربية السعودية وشؤونها التاريخية والمعاصرة صدرت مجموعة من الكتب الجديدة، منها: «الموانىء السعودية على البحر الأحمر: دراسة في الجغرافيا الاقتصادية» للاستاذ محمد احمد الرويثي ونشر مؤسسة الرسالة ببيروت، و «الحياة الاقتصادية والاجتماعية في نجد والحجاز في العصر الأموي» للدكتور عبد الله محمد السيف، و «التطور الاقتصادي في المملكة العربية السعودية ومستقبل التنمية» للاستاذ حسين على الشرع ونشر دار العلوم بالرياض، و «مدارسنا والتربية» للشيخ عبد الوهاب احمد عبد الواسع ونشر سلسلة الكتاب العربي السعودي.

* كتاب جديد يتناول بالأسلوب العلمي الرصين هموم العالم العربي ومصائره صدر

أخبار الكتب



للدكتور قسطنطين زريق بعنوان «مطالب المستقبل: هموم وتساؤلات» ونشرته دار العلم للملايين.

* صدرت عن دار العرب للبستاني طبعة جديدة من «رباعيات عمر الخيام» من ترجمة الأديب الراحل وديع البستاني بمقدمة كتبها المرحوم مصطفى لطفي المنفلوطي.

* ومن دواوين الشعر الجديدة التي صدرت في العالم العربي: «وحي وقلب وألحان» للشاعر الحجازي الأستاذ عبد السلام هاشم حافظ ونشر النادي الأدبي في أبها، و «نسيب الحسان» للشاعر المصري مصطفى اللبيدى بمقدمة للشاعر العوضي الوكيل ونشر مطبعة الفجالة الجديدة، و «أمواج» للشاعر التونسي محمد الصغير ونشر تونس، و «دم وبرتقال» للشاعر العراقي يونس ناصر عبود ونشر وزارة الثقافة العراقية، و «باقة البنفسيج» للشاعر عبد الهادي حرب ونشر النادي الأدبي في أبها.

* الأديب السعودي الأستاذ حسن محمد كتبي أصدر سيرته الذاتية بعنوان «هذه حياتي» ونشرتها دار الشروق بجدة.

* ومن كتب السير التي طبعت أخيرا: «سير وتراجم بعض علمائنا في القرن الرابع عشر للهجرة» وقد صدرت طبعة ثالثة منه للأستاذ عمر عبد الجبار في سلسلة «الكتاب العربي السعودي»، و «ساطع الحصري من الفكرة العثمانية الى العروبة» تأليف وليم كليفلند وترجمة الأستاذ فكتور سحاب ونشر دار الوحدة العربية ببيروت، و «جمال الدين الأفغاني المصلح المفترى عليه» للأستاذ محسن عبد الحميد ونشر مؤسسة الرسالة ببيروت، و «ابن الأثير» للدكتور فيصل السامر ونشر وزارة الثقافة العراقية، و «أبو عبد الله الأبي وكتابه (الاكمال)» للدكتور عبد الرحمن عون ونشر الدار العربية للكتاب، و «عبقرية اليوسي» وهو سيرة الفقيه المغربي اليوسي التي ألفها الأستاذ عباس الجراري ونشرتها دار الثقافة بالدار البيضاء، و «الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر» للدكتورة وديعه طه النجم ونشر وزارة الثقافة العراقية.

* كتابان عن قضايا التراث صدرا مؤخرا هما: «جدلية العلاقة بين الفكر العربي والتراث» للاستاذ فرحات صالح ونشر دار الحداثة ببيروت، و «نحن والتراث: قراءة معاصرة في تراثنا الفلسفي» للدكتور محمد عابد الجابرى ونشر المركز الثقافي العربي بالدار البيضاء.

* في الأدب الروائي بفنونه المختلفة صدرت مجموعة من الكتب منها: «رامز وقصص أخرى» للأديب الكبير الأستاذ محمد سعيد العامودي ونشر دار الرفاعي بالرياض، و «البحث عن بداية» مجموعة أقاصيص للأستاذ جواد صيداوي ونشر دار تهامة، و «خطابات طاحونتي» مجموعة أقاصيص من تأليف الفونسي دوديه وترجمة الأستاذ محمد عبد المنعم جلال ونشر دار الهلال، وطبعة جديدة في جزء ين من رواية «فتاة غسان» للعلامة الراحل جرجي زيدان بمقدمة للدكتور حسين نصار ونشر دار الهلال، ورواية «فلتشرق من جديد» للاستاذ طاهر عوض سلام ونشر النادي الأدبي في أبها، ورواية «الشركاء» للاستاذ مصطفى نصر وطبع مصر. أما المسرحيات فقد ظهرت منها مسرحية «عسقلان» للاستاذ عبد الله عيسى ونشر مجلة «الأخلاء» التونسية، ومسرحية «سابغو» لفرانس جريلبارتس وترجمة الدكتور باهر الجوهري ومراجعة الدكتور كمال صفوت الألفي وصدرت في سلسلة «من المسرح العالمي» الكويتية، ومسرحيتا «الطرواديات» و «أندروماخي» ليوروبيديس وقد ترجمها الاستاذ اسماعيل البنهاوي وراجعها الدكتور احمد عثمان ونشرتا في مجلد واحد في نفس هذه السلسلة.

* عن دار الوحدة صدر كتاب «التنظيم البحري الاسلامي في شرق المتوسط من القرن السابع حتى القرن العاشر الميلادي» تأليف الدكتور علي محمود فهمي، وترجمة الدكتور قاسم عبده قاسم. ويشمل الكتاب خمسة فصول تحدث فيها المؤلف عن دور صناعة السفن والمراكز البحرية في مصر، ودور صناعة السفن والمراكز البحرية في بلاد الشام وأفريقية وكريت، ومواد بناء السفن، والتنظيم البحري، والسفن الحربية الاسلامية في البحر المتوسط. كما يشمل أيضا ثلاثة ملاحق عن الغابات في مصر، أسماء سفن الاسطول الطولوني، أسماء السفن التي ذكرها المقدسي. ويقع الكتاب في ١٧٧ صفحة من القطع الكبير.

* صدر كتاب «دولة الموحدين الاسلامية ومواضيع أخرى» لحسن الأمين في سلسلة «اخترنا لك» عن دار الزهراء. ويقع الكتاب في ٢٤٠ صفحة من القطع المتوسط.

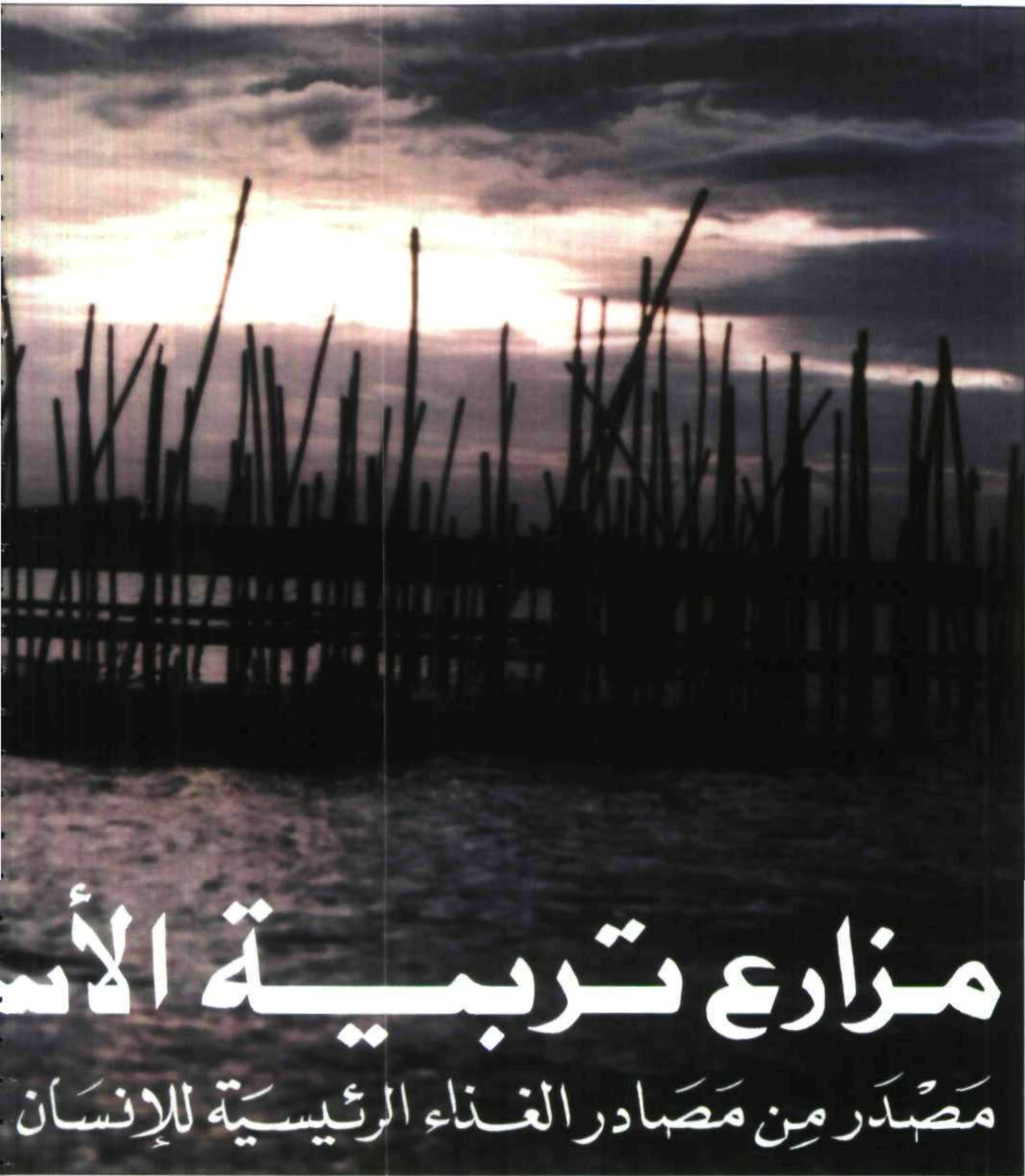
* «ديوان شعر الخوارج» وهو الكتاب الثاني من «ديوان الشعر العربي» قام بجمعه وتحقيقه الدكتور احسان عباس، وقد صدر عن دار الشروق في بيروت مذيلا باستدراكات وملاحق وفهارس، ويقع في ٣٢٣٠ صفحة من القطع الكبير.

* الطبعة الثانية من رواية «الأفاق البعيدة» للقاص عوض شعبان صدرت عن دار النهار للنشر، وكانت طبعتها الأولى قد صدرت منذ عامين ونصف العام. وتصور الرواية واقع المهاجرين العرب في أمريكا اللاتينية من خلال معايشة المؤلف لهذا الواقع مدة تربو على عشر سنوات □

يحار الانسان في سعيه الدؤوب لتوفير الأمن الغذائي، وبشكل خاص المواد البروتينية اللازمة لبناء الجسم، ويحار في استنباط الوسائل الناجعة الكفيلة بتحقيق ذلك.

لم تكن هذه المشكلة قائمة في الماضي يوم كانت الارض سخية بعطائها من البقول والحبوب، ويعيش عليها من حيوانات وطيور، ويوم كان البحر سخيا بما يختزن في اعماقه من ثروات سمكية هائلة. لكن الأمر قد تغير الآن واختلفت المقاييس اثر التزايد المطرد في تعداد سكان الارض، والمتغيرات الطبيعية والجغرافية التي طرأت عليها، وما اصاب البحر من شح في العطاء نتيجة عوامل قد يكون الانسان سببا في وجودها. ونتيجة لهذه العوامل، اصبحت عملية تأمين الغذاء مسألة تحتاج الى الكثير من الجهد والبحث والمال اضافة الى الكثير من الصبر.

ان مصادر الغذاء في العالم متوفرة، لكنها بحاجة الى تطوير مستمر. والمعروف ان البحار تشكل ثلثي مساحة اليابسة، وهي تبعا لذلك تحتضن في جوفها ثروة هائلة من الكائنات البحرية تشكل بدورها مصدرا كبيرا للغذاء ولا سيما البروتينات. وبعد ان عزّ على الانسان تأمين احتياجاته هذه على اليابسة، اتجه الى البحر بحثا عن غذائه والله سبحانه وتعالى يقول: «**وهو الذي سخّر البحر لتأكلوا منه لحما طريا**». (١) من هنا اتجهت الأنظار الى البحر لاستغلال كنوزه من البروتينات الضرورية.



مزارع تربية الأس

مَصْدَر مِن مَصَادر الغذاء الرئيسيّة للإنسَان

مزارع الأسماك

كانت مزارع الاسماك معروفة منذ اقدم العصور، ففي العصور الوسطى كان لكل دير برْكة بها نوع من السمك يدعى «المبروك» يربّى لامداد الرهبان به في الأوقات التي يمتنع فيها هؤلاء عن تناول أي نوع من اللحوم. وتشير المصادر الى ان الصينيين كانوا من اكثر الشعوب اهتماما بتربية الاسماك في مزارع خاصة لفترة من الزمن. غير ان هناك بلدانا اخرى عديدة قد اخذت تبدي اهتماما كبيرا بهذا النوع من المزارع وخاصة دول الشرق الاقصى حيث تنتشر هذه المزارع ومزارع المحار التي يستخرجون منها اللؤلؤ الصناعي وغيره من خيرات البحر.

ان عملية زراعة الاسماك تجرى على الانواع التي تعيش في المياه العذبة كالانهار، والبحيرات لكونها اكثر عرضة للابادة من الاسماك التي تعيش في البحار وذلك بسبب ما يُلقى في هذه الانهار والبحيرات من نفايات المصانع التي غالبا ما تشتمل على مواد كيميائية تؤثر بدورها على تكاثر الاسماك وتؤدي في النهاية الى ابادتها او موت اعداد كبيرة منها.

اما بالنسبة لأسماك البحار، فهي، كما ذكرنا، اقل تعرضا للابادة، لكن الاماكن التي تكثر فيها عمليات الصيد والتي تستخدم فيها وسائل الصيد الحديثة، تكون افضل الطرق للمحافظة على الثروة السمكية، هو سن قوانين دولية من شأنها حظر اصطياد الاسماك لفترة معينة من كل عام كي يتسنى لاناث الاسماك وضع بيضها ومن ثم تكاثرها بصورة تلقائية.

هنالك انواع عديدة من الاسماك تجري تربيتها وتسمينها بقصد الاستفادة من لحومها ومنها، سمك «التروت — Trout» وسمك «موسى — Plaice» ولعل هذين النوعين من اكثر الانواع شهرة في مزارع الاسماك. ويربى سمك «التروت» صناعيا على نطاق اوسع من غيره من انواع الأسماك الأخرى، حيث تؤخذ اناثه من الماء عندما يحين وقت وضعها للبيض. وبعد ذلك يلقح البيض بالحيوانات المنوية المستخرجة من ذكور السمك بالطريقة نفسها، ثم توضع على صوان مرصوصة بعضها فوق بعض في مياه جارية نقية بحيث تكون درجة الحرارة ثابتة عند



مستوى معين. وعندما يفقس البيض، تخرج صغار السمك وبها انتفاخ هو عبارة عن كيس المح — Yolk Sac تمتص منه غذاءها لفترة معينة، ثم تتغذى بعد ذلك على الكائنات النباتية والحيوانية الدقيقة الموجودة في الماء. وبهذه الطريقة يمكن توفير كميات كبيرة من هذه الاسماك، يعاد بعضها الى مناطق وجودها الأصلية لاعادة زرعها في المياه، وللاحتفاظ بكميات كبيرة اخرى منها في مزارع السمك بحيث تتم تغذيتها حتى تصل الى الاحجام المرغوبة ومن ثم بيعها في الاسواق المحلية لتأمين الاحتياجات المتزايدة من لحوم الاسماك.

وهناك انواع من مزارع تربية الاسماك يجري انشاؤها لاستخدام اسماكها لأغراض الزينة، وهي تجارة تلقى حاليا رواجا كبيرا وتؤمن دخلا مربحا للقائمين على هذا النوع من المزارع ذات الاسماك المتعددة الاشكال والانواع.

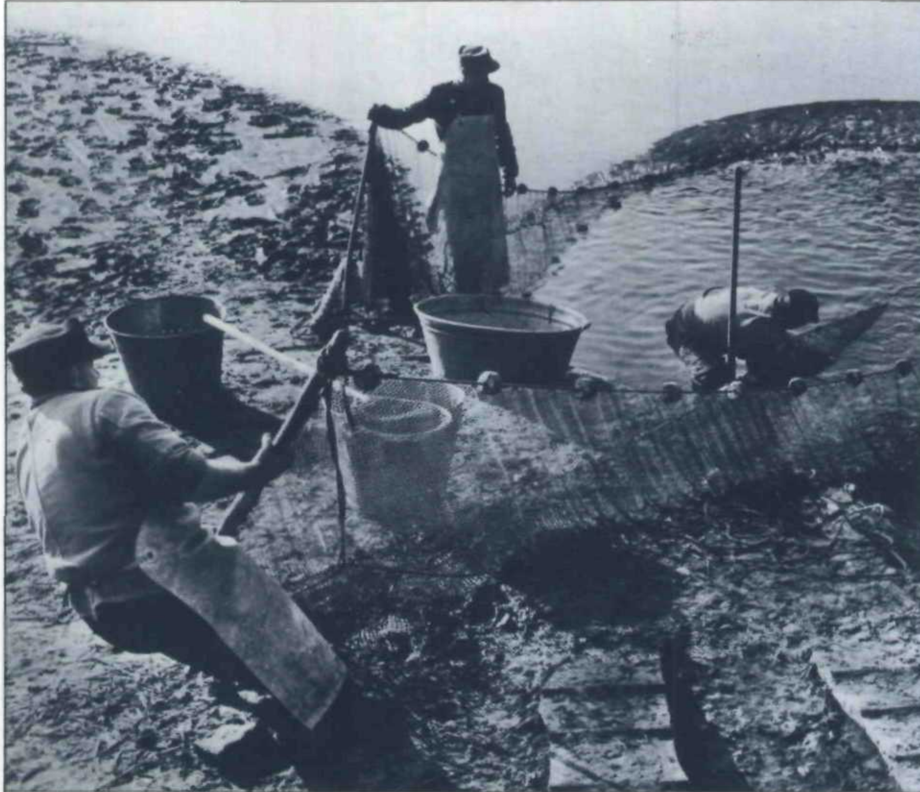
وتأتي سنغافورة في مقدمة دول الشرق الاقصى التي تُعنى بمزارع الاسماك وتربيتها وتنميتها لتكون صالحة للطعام، اضافة الى عدد كبير من مزارع اسماك الزينة. وتحظى مزارع

١ — بيت سكني في خليج «كيلونج» بسنغافورة، وفي مقدمته مجموعة كبيرة من الاوتاد التي تتدلى منها شباك صيد الاسماك.

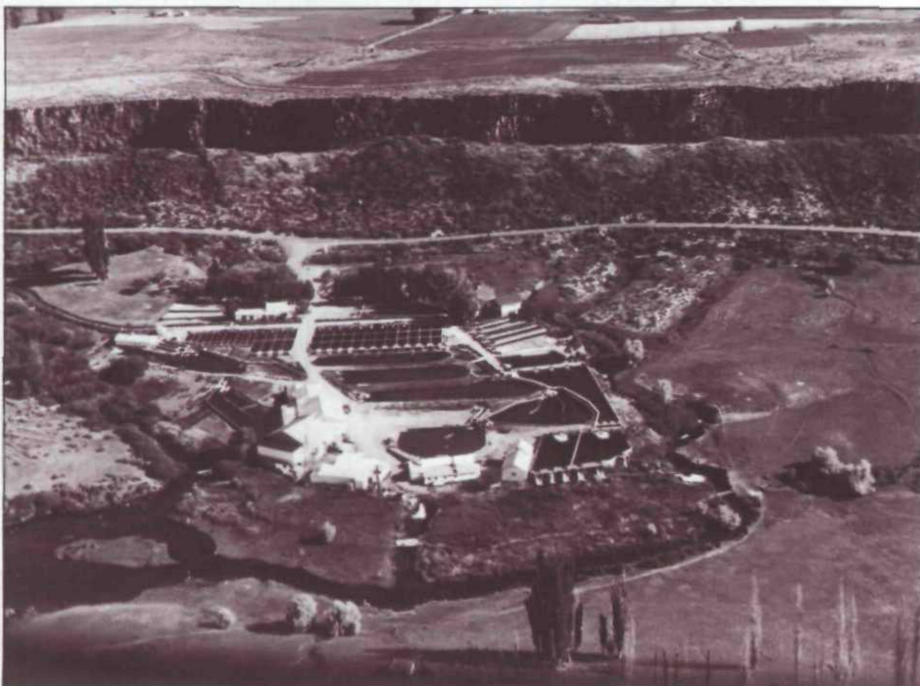
٢ — عملية صيد الاسماك من احد الاحواض بعد ان كبرت واصبحت صالحة للأكل، ويصل وزن بعضها الى أكثر من كيلو غرام واحد.

٣ — احدى مزارع الاسماك في الولايات المتحدة الامريكية ويلاحظ ان الاحواض متصلة بعضها ببعض عن طريق قنوات خاصة.

٢



٣



الاسماك في سنغافورة بتشجيع من الدولة مما رفع عدد العاملين فيها وساعد في الوقت نفسه، على التغلب على التقلبات البحرية وشح البحر، في بعض الاحيان، في تأمين احتياجات السوق المحلية من الاسماك الطازجة.

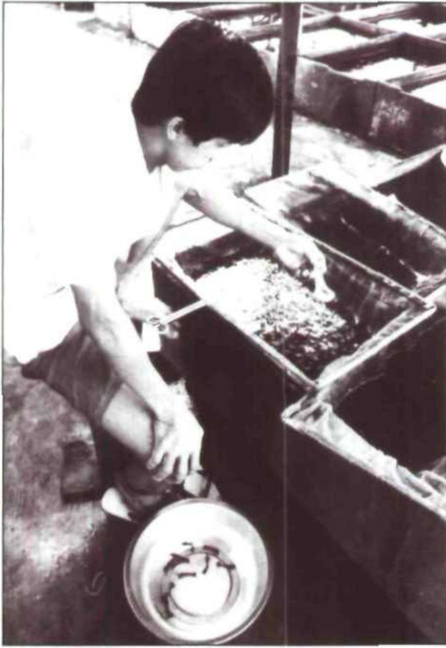
وترتبط حياة سكان جزيرة سنغافورة بروابط وثيقة بالبحر، الذي يعتبر أحد موارد الدخل الرئيسية لسكان الجزيرة. كما يقيم العديد من الصيادين لهم منازل خشبية عائمة فوق مياه البحر، حيث يتولون جمع الاسماك التي تصطادها الشباك المنصوبة قرب هذه المنازل العائمة.

وعلى الرغم من ان مزارع الاسماك او احواض تربية الاسماك ما زالت في مراحلها الاولى من التطور، فانها تزود السوق المحلية بحوالي ٢٥ في المائة من احتياجات السكان من الاسماك، ويتوقع ان ترتفع هذه النسبة الى ٥٠ في المائة.

وهناك نوع آخر من مزارع الاسماك المتطورة يعرف بمزارع تنمية الاسماك الاستوائية الصغيرة. وتعتبر سنغافورة اكبر بلد في تنمية مثل هذه الاسماك في العالم. اذ صدَّرت في عام ١٩٨٠ ماقيمته ٢٠ مليون دولار من هذه الاسماك وتنتج هذه المزارع حوالي ٣٠٠ الف من الاسماك الاستوائية الملونة في الشهر. ونظرا لموقع سنغافورة المميز وقوانين التصدير المرنة لديها، فان الاسماك المصدرة الى البلدان الاوروبية او الولايات المتحدة تصل اليها خلال ٤٨ ساعة من تقديم الطلب.

وتعتبر الاسماك الاستوائية المحلية من اكثر الاسماك رواجا في الاسواق، وكذلك الحال بالنسبة لبعض الاسماك المجلوبة من أنهار اندونيسيا مثل سمك «اللتش»، وهو سمك نهري من نوع الشبابيط. وحتى اسماك «التترة»، وهي اسماك استوائية من جنوب افريقيا، تحظى برواج كبير في الاسواق، كما ان اسماك «الجابي» التي يصدر منها عشرات الألوف في كل اسبوع، تعد ايضا من الاسماك الرائجة في سنغافورة.

لقد بدأت عملية تربية الاسماك الاستوائية منذ فترة طويلة. فقبل حوالي

١


٢


٣


٤


عشرين عاما، كانت هناك مزارع صغيرة لتربية الاسماك يُجلب معظمها من المياه العذبة المنتشرة على طول الساحل الشمالي وفي مناطق المستنقعات في الجزء الشمالي الشرقي من البلاد. وكان معظم هذه المزارع يضم ما بين ٣٠ و ٤٠ حوضا لتربية الاسماك. أما الآن فهناك ما يقرب من مائتي مزرعة للاسماك يضم معظمها ما يتراوح بين ٣٠٠ و ٤٠٠ حوض مليئة باعداد كبيرة من الاسماك المختلفة الانواع.

بيد ان الشيء الوحيد الذي لم يطرأ عليه أي تغيير بعد، كما يقول احد العاملين في هذا الحقل، هو عملية تربية الاسماك نفسها، اذ ان هذه العملية تبدأ بجلب الاسماك الصغيرة من مختبر خاص، ثم يوضع في كل حوض حوالي مائة من الذكور مع ثلاثمائة من الإناث، وينقل صغار الأسماك يوميا الى احواض خاصة لحضانتها. وتتغذى هذه الصغار خلال الأشهر الثلاثة الأولى من ولادتها، على خليط يتكون من مساحيق الحليب والسمك والحبوب. ويساعد هذا النوع من الغذاء على سرعة نمو الاسماك. وفي الوقت نفسه، تُطَعَّمُ المياه المنسابة الى الحوض بالمواد الكيميائية اللازمة للمحافظة على الحامض القلوي في الحوض الى المستوى المطلوب.

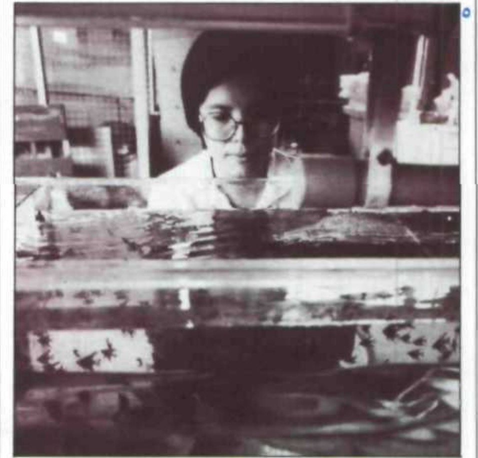
يلي ذلك خطوة الاختيار بين مزرعة اسماك من الدرجة الاولى واخرى عادية، حيث تتم التفرقة بين الذكور والاناث من الاسماك للتحضير لعملية توالد جديدة والاعداد للبدء في تربية محصول جديد من الاسماك. اضافة الى ذلك، يجري انتقاء افضل الاسماك للتصدير الى الاسواق الخارجية، ولعل افضل هذه الاسماك هي تلك المستديرة والمكتنزة، والتي تكون ذيولها وزعانفها كاملة النمو، داكنة اللون. وعند التصدير توضع الاسماك الزاهية اللون في اكياس من «البلاستيك» مملوءة الى نصفها بالماء المعالج، ويتسع كل كيس لحوالي سبعماية سمكة. وبما ان هذه الاسماك ستظل بدون هواء خلال رحلة الشحن التي قد تستغرق يومين قبل ان تصل الى وجهتها، فانه يجري تزويد الاكياس البلاستيكية بكمية مناسبة من الاكسجين، ثم توضع في صناديق خاصة تستخدم لهذا الغرض وتشحن جوا للمستهلكين في مختلف الاقطار.

وممّا يذكر ان تربية الاسماك البحرية لا تختلف كثيرا عن تربية الاسماك النهرية اللهم الا في الوقت الذي تحتاج اليه عملية نمو هذه الاسماك وفي نوع الغذاء الذي يُقَدَّمُ لها. اما بالنسبة لاسماك «بلح البحر — Mussel »، فان عملية تربيتها اسهل بكثير من عمليات تربية الاسماك الاخرى. وفي سنغافورة، تستخدم حبال والياف مستخلصة من جوز الهند، لإجتذاب المحار الصغير الحجم الذي ينمو عليها الى ان يتحول الى اسماك بلح البحر، يصل طول الواحدة منها الى ثلاث بوصات، وهذا النوع من الاسماك مرغوب جدا في اوروبا، ويلقى رواجا كبيرا في بلدان جنوب شرق آسيا.

وعلى الرغم من انه لم يمض وقت طويل على نشوء مزارع تربية الاسماك في سنغافورة، فان كثيرا من سكانها اصبحوا ملمين بها وعلى قدر كبير من الخبرة فيها. ويوجد حاليا في سنغافورة عشرون مزرعة لتربية الاسماك على اختلاف انواعها. وفي الوقت نفسه، يواصل رجال الابحاث جهودهم الرامية الى تطوير مزارع تربية الاسماك، عن طريق ابتكار اساليب حديثة من شأنها نمو انواع من الاسماك في فترة قصيرة من الزمن وذلك للحصول على اعداد كبيرة من الاناث وبالتالي على مزيد من البيض للتفقيس.

وحرصا منها على تشجيع المواطنين على اقامة مزارع لتربية الاسماك، فقد خصصت حكومة سنغافورة حوالي مائة فدان من المياه في قناة «جوهور» لمزارعي الاسماك لمزاولة هذه المهنة.

والجدير بالذكر ان المركز الوطني السعودي للعلوم والتكنولوجيا في مدينة الرياض، يشرف حاليا على مشروع لتربية الاسماك في محطة الابحاث في منطقة «ديراب» التابعة لكلية الزراعة بجامعة الملك سعود بالرياض، ويهدف هذا المشروع الى اقامة



٥



٦

١ — انتقاء اناث الاسماك الاستوائية عملية تحتاج الى دقة وخبرة متناهية. ويتم في هذه المرحلة فصل الاناث عن الذكور للاعداد لوضع البيض.

٢ — اسماك السلمون في طريقها الى مكان توالدها لوضع البيض.

٣ — مزرعة اسماك في لافييت بولاية لويزيانا بالولايات المتحدة، حيث يجري رش احد الاحواض بالمواد البروتينية لتغذية الاسماك.

٤ — عامل في مزرعة للاسماك بسنغافورة يوزع الطعام على احواض الاسماك الاستوائية. ويضم كل حوض مائة من الذكور وثلاثمائة من الاناث.

٥ — مجموعة من الاسماك الاستوائية في احد الاحواض حيث تنمو هذه الاسماك وتتم تغذيتها في اوقات منتظمة وتعتبر الاسماك الملونة اكثر انواع الأسماك رواجا في الاسواق.

٦ — عملية استخراج البيض من انثى السمك، تم بالضغط على بطنها.

مزارع لتربية الاسماك في المناطق البعيدة عن البحار في المملكة، وذلك لتأمين الاحتياجات المحلية من لحوم الاسماك، كما يهدف المشروع الى تربية انواع جيدة من الاسماك سريعة النمو في مساحات محصورة من المياه او في احواض اصطناعية مليئة بالمياه العذبة، ومن ثم العناية بهذه الاسماك وتغذيتها حتى تصل الى الحجم المناسب للاستهلاك. وتتراوح فترة التغذية هذه ما بين ٤ و ٦ اشهر تصبح الاسماك بعدها صالحة للاكل. وقد حقق هذا المشروع نجاحا كبيرا وازداد عدد المزارعين الذين شرعوا في انشاء المزارع السمكية. اما الانواع التي تجرى تربيتها في احواض مائية، فهي من نوع البلطي الذهبي، والابيض، الذي يعيش في نهر النيل، والشبوط الذي يعيش في نهر الفرات، وقد زودت هذه الاحواض المائية بأجهزة خاصة لضبط الحرارة والرطوبة وكمية الاكسجين لتأمين العوامل المناخية اللازمة لحياة الأسماك ونموها.

وبعد فقد اخذت مزارع الاسماك تنتشر بشكل واسع في كثير من بلدان العالم ولا سيما في الاماكن النائية والمتاخمة للبحار على حد سواء. كما أسهمت هذه المزارع السمكية في تزويد الاسواق بنسبة كبيرة من احتياجاتها من لحوم الاسماك الطازجة. ومما يذكر ان هناك انواعا معينة من الاسماك التي تعيش في المياه العذبة والمالحة تجري تربيتها وفقا لبرامج علمية مدروسة بحيث تصبح صالحة للاستهلاك المحلي بعد فترة لا تتعدى ستة اشهر. وبذا يتم تأمين اسماك طازجة باستمرار من هذه المزارع التي باتت تشكل مصدرا من مصادر الغذاء الرئيسية للانسان. وسبحان القائل: «**وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه، وهذا ملح اجاج ومن كل تأكلون لحما طريا**».

بتصرف عن: «اويل لايفستريم اف بروجرس»

تصوير: اوئتتكيتد نيوز انترناشونال

١


٢


٣


٤


٥

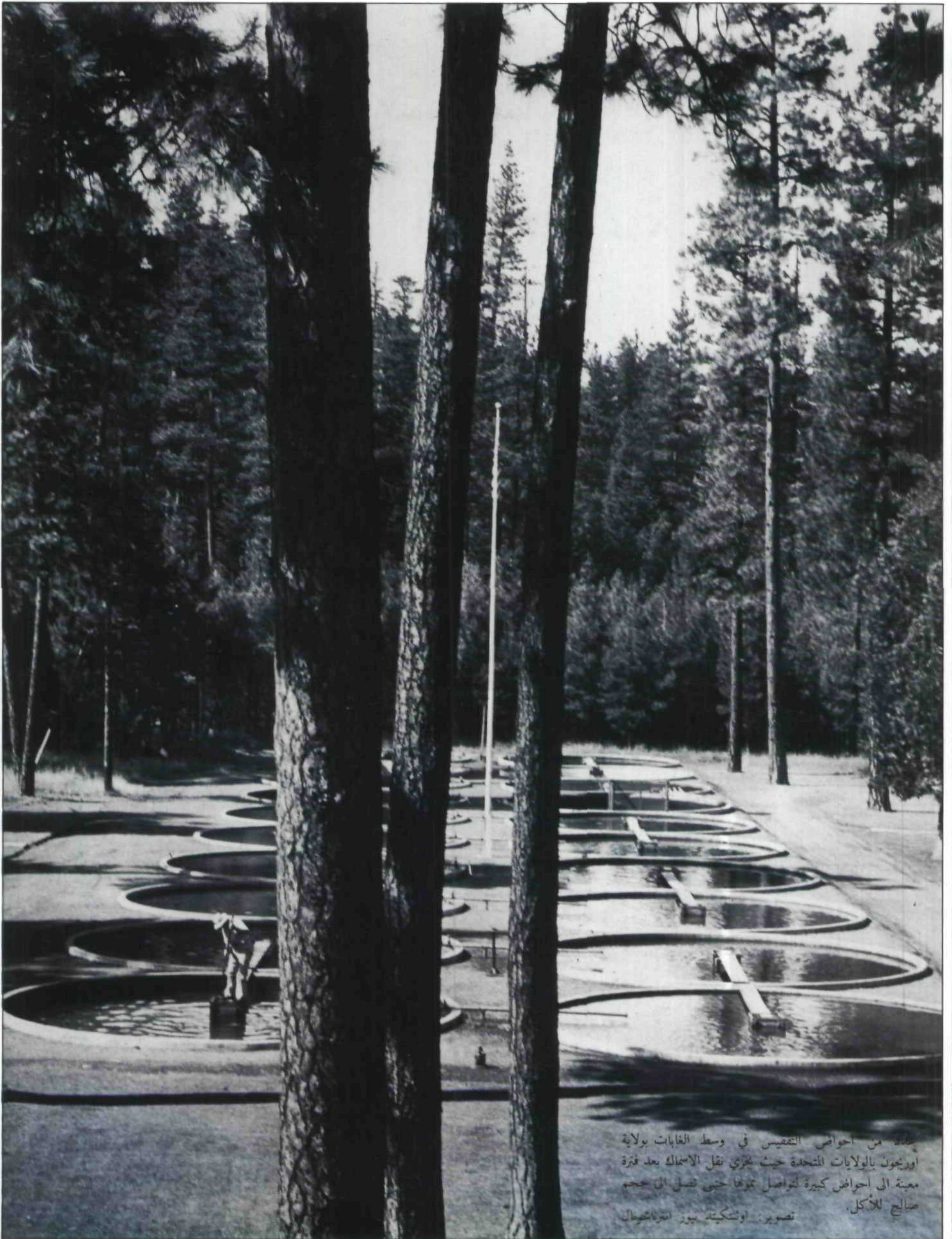

١ — اثنان من الخبراء في تربية الربيان يفحصان عينة منه لمعرفة امكان تربيته في مزارع خاصة.

٢ — احد العاملين في مزرعة للتجارب السمكية ينتشل من احد الاحواض حبلا مصنوعا من الياف جوز الهند وقد تجمعت عليه اعداد هائلة من الحيوانات الصدفية المائية.

٣ — طبق مليء بخيرات البحر من سمك وربيان وقباقب وغيرها. وهي حصيلة ما انتشله هذا الصياد من شباكه.

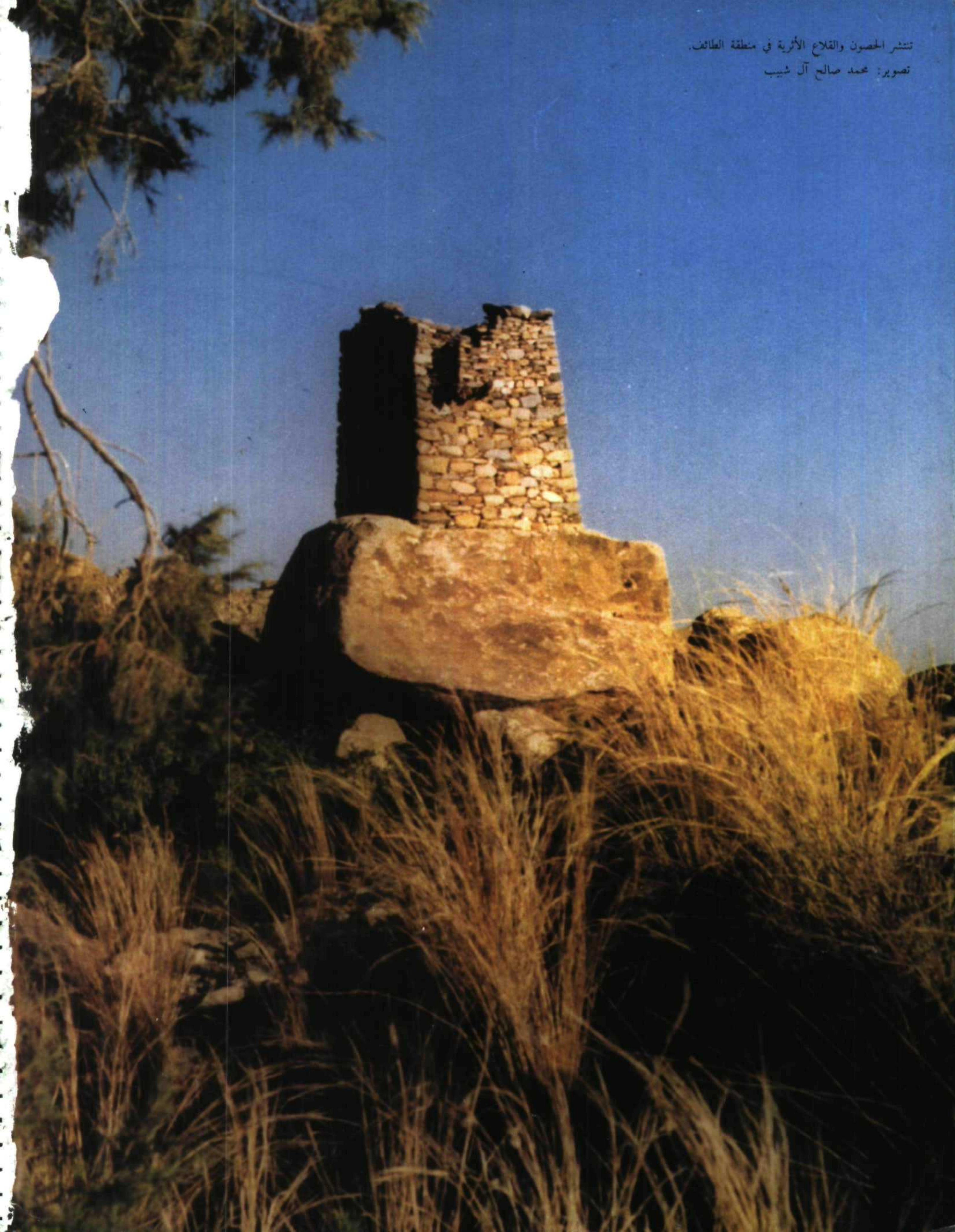
٤ — احدى الاسماك وهي تحمل بطاقة خاصة لدراسة احوالها البيئية ونموها.

٥ — تشحن الاسماك الاستوائية في اكياس من «البلاستيك» مليئة بالمياه المعالجة وتحقن بكمية اضافية من الاكسجين قبل شحنها.



عدد من احواض التفقيس في وسط الغابات بولاية اوريجون بالولايات المتحدة حيث يجري نقل الاسماك بعد فترة معينة الى احواض كبيرة لتواصل نموها حتى تصل الى حجم صالح للأكل.

تصوير: اوتشكيتد بيرز انترناشونال


تنتشر الحصون والقلاع الأثرية في منطقة الطائف.
تصوير: محمد صالح آل شبيب